فرية جمود الفكر الإسلامي

وردُّ الأستاذ محيي الدين البغدادي (ت: ١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م)
عليها من خلال مقالاته في مجلة الإسلام

«عرض وتحليل»

إعداد

إبراهيم أحمد محمود محمد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

فرية جمود الفكر الإسلامي، ورد الأستاذ محي الدين لبغدادي (ت: ١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م) عليها من خلال مقالاته في مجلة الإسلام (عرض وتحليل)

إبراهيم أحمد محمود محمد

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر

البريد الإلكتروني: dribrahim٨٧٥@gmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان فريةٍ طالما دأب المشككون يتَّهِمُون الفكر الإسلامي بها، وهي جموده وعدم مسايرته لتطورات العصر، مما يتعارض وحاجات المجتمع إلى شريعةٍ متطورةٍ، ويزعمون أنَّ السبيل إلى الحضارة يكمن في نبذ الأصول الإسلامية وراءهم ظهريًا، والحقيقة أنَّ الفكر الإسلامي ما جَمد في عصرٍ، أو تَخَلّفَ عن ركب التقدم في دولة ما، وإنَّما هم أنفسهم الذين جمدت عقولهم، وعميت أبصارهم عن الحق والصواب، منبهرين بالمدَنَّية الأوربية، مع أنَّها في أمسِّ الحاجة إلى الدواء، وإلى العلاج؛ لأنها تعيش بلاء وشقاء، فقد أخفقت في إقرار الطمأنينة والأمن والسلام في هذا العالم المنكوب، وهذا ما أجاد في بيانه الأستاذ محي الدين البغدادي خلال مجموعة مقالاته كتبها في مجلة الإسلام تفند فرية الجمود، فألفيته يقول: إنَّ من أصول الإسلام الثابتة أنَّه فَرَضَ على أهله فرضًا الاشتغال بدراسة نواميس هذا الكون، ودفعهم إلى ميدان ترقية العقول دفعًا، وهو ما انفرد به الإسلام عن غيره من الشرائع الأخرى، وكان من أهم نتائج البحث توهُّم البعض أنَّ الفكر الإسلاميَّ جامد، لا يتسع لحل المشكلات المختلفة المتعددة المتجددة في كل عصرٍ وزمان ومكان–وقد تسرب هذا للأسف لبعض المسلمين– وأنَّ أدلة الشريعة الإسلامية أحكام دينية ثابتة لا تقبل التطور بحسب الأوضاع الزمنية والاقتصادية، هذا منشؤه عدم معرفتهم بطبيعة هذه الأدلة، ولذا يُوصي البحث في مواجهة مثل هذه الفرية ينبغي الحضور الفعَّال في الغرب بإرسال المُتَخَصِّصِين من الدعاة إلى الندوات والمؤتمرات التي تعقد عن الإسلام.

كلمات مفتاحية: (فرية– جمود– الفكر الإسلامي– محي الدين البغدادي– مجلة الإسلام)

In the name of Allah, the most Merciful, the most Gracious

The falsehood of the stagnation of Islamic thought and the response of professor Muhyi al-Din al Baghdadi (١٩٤٥A.C_ ١٣٦٤A.H) through his articles in the magazine of Islam, Department of Islamic call and culture, Faculty of Fundamentals of religion in Zagazig _Al Azhar University,preparedby:

Ibrahim Ahmed Mahmoud Mohammed
Dr.Ibrahim ٨٧٥@gmail.com Email.

Abstract:

The research aims to explain the falsehood that skeptics have always accused Islamic thought that it is rigid and it fails to keep pace with the developments of the modern era which contradicts society 'needs for an advanced law.They claim that the path to civilization lies in rejecting Islamic principles.The truth is that Islamic thought has never been rigid in an era or lagged behind the pace of progress in a country.Rather, they are the only whose minds have been blinded.we are fascinated by European civilization even though it is in dire need of medicine and treatment because it is living in affliction and misery.It has failed to establish tranquility, security and peaceful in this inflicted world.This is what professor Muhyiddin alBaghdadi demonstrated well in his collection of articles, he wrote in Al_Islam magazine refuting the falsehood or the lie of stagnation.His millennium says that he says:"The established principles of Islam are that are impose on its people an obligation to study the laws of this universe and push them into the field of advanced minds,

which is what Islam is unique and it is different from other laws.One of the most important results of the research was the illusion of some people who say that Islamic thought is rigid and doesn't have the capacity to solve the many different problems that are renewed in every era,time and place.Unfortunately،

this has been leaked to some Muslims and that the evidence of Islamic Shari'a is fixed religious rulings in a way that it doesn't accept developments according to the circumstances of time and place.Moreover, the lack of knowledge of the nature of the evidence.Therefore, the research recommends that when we face such problems, there should be an effective presence in the West sending specialist preachers to seminars and conferences about Islam.

Keywords:A lie_stagnation _Islamic thought _Muhyi al_Din al_Bughdadi_Islamic magazine

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسلام على سيِّدنا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد دأب المشككون يتَّهِمُون الفكر الإسلامي بالجمود، وعدم مسايرته لتطورات العصر، مما يتعارض وحاجات المجتمع إلى شريعةٍ متطورةٍ، ويزعمون أن السبيل إلى الحضارة يكمن في نبذ الأصول الإسلامية وراءهم ظهريًا.

وهذا الاتهام يقوم على استغلال الشعور بالنقص، والإحساس بالتخلف الذي وخز الأمة الإسلامية عند احتكاكها بالمدَنَّية الأوربية.

والحقيقة أنَّ الفكر الإسلامي ما جَمد في عصرٍ، أو تَخَلّفَ عن ركب التقدم في دولة ما، وإنما هم أنفسهم الذين جمدت عقولهم، وعميت أبصارهم عن الحق والصواب، منبهرين بالمدَنَّية الأوربية، مع أنها في أمسِّ الحاجة إلى الدواء، وإلى العلاج؛ لأنها تعيش بلاء وشقاء، فقد أخفقت في إقرار الطمأنينة والأمن والسلام في هذا العالم المنكوب.

فهل لأمم الأرض أن ترجع إلى الإسلام، بعد أن ذاقت مرارة الصد والإعراض عن الله! ففي الإسلام الأمل والرجاء، ولنرجع إلى التاريخ لنرى كيف استطاع الإسلام أن ينقذ العالم، ويدفع ركب الحضارة إلى الأمام.

إن لدينا حضارة إنسانية كريمة زاخرة بالمجد والسؤدد، لا تبلى عبر العصور والدهور، فلماذا البحث والتنقيب على مبادئ جديدة، ورمي الفكر الإسلامي بالجمود!

علينا التمسك بهذه المبادئ الإسلامية؛ لأنها هي المنقذ الوحيد لأمم الأرض من هذا الشقاء الذي تردت إليه البشرية، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ

مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقد انبرى الأستاذ محيي الدين البغدادي لكتابة مجموعة مقالات في مجلة الإسلام الأسبوعية، تفند فرية الجمود، وتبين أسبابها، والرد عليها، فكان هذا البحث: (فرية جمود الفكر الإسلامي، وردُّ الأستاذ محيي الدين البغدادي (ت: ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م) عليها من خلال مقالاته في مجلة الإسلام، «عرض وتحليل»).

أهمية البحثِ، وأسبابُ اختياره:

ترجع أهمية هذا البحثِ وأسبابُ اختياره إلى:

١ - الاطِّلاع على فكر الأستاذ محيي الدين البغدادي؛ حيث إنَّ له باعًا في دحض شبهات الخصوم الذين يخدَعُونَ غير المختصين فلا يقدرون على تفنيد مزاعمهم، ودحض افتراءاتهم، فهذا الخصم الذي دحض فريته كان يُلقي التهم جزافًا دون دليل.

٢ - توهُّم البعض أنَّ الفكر الإسلاميَّ جامد، لا يتسع لحل المشكلات المختلفة المتعددة المتجددة في كل عصرٍ وزمان ومكان -وقد تسرب هذا للأسف لبعض المسلمين- وأنَّ أدلة الشريعة الإسلامية أحكام دينية ثابتة لا تقبل التطور بحسب الأوضاع الزمنية والاقتصادية، وهذا منشؤه عدم معرفتهم بطبيعة هذه الأدلة.

٣ - أن فرية الجمود تعد إرهاصًا لنقد التراث الإسلامي كله، وهو ما يسعى إليه الفكر الحداثي في العصر الحاضر.

٤ - الإلمام الكامل لدى الأستاذ محيي الدين بالقضية، وفي الوقت نفسه معرفته الجيدة بما عند خصوم الإسلام، مما يوضح قوة رده، وقد ألفيت الأستاذ محيي الدين يرد ردودًا علميةً رصينةً، في أسلوب يتسم بالوضوح والعمق في آنٍ واحد.

٥ - عدم وجود دراسة خاصة تُعنى بهذا العالم الأستاذ محيي الدين البغدادي.

حدود البحث:

يقتصر البحثُ على مقالات الأستاذ محيي الدين سعيد البغدادي في مجلة الإسلام،

التي جاءت تحت عنوان: «إنَّ الدين عند الله الإسلام، وهو الكفيل لسعادة بني الإنسان، والدائم ما تعاقب الملوان»، من العدد رقم (٤١) للسنة الرابعة للمجلة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٥٤هـ الموافق ١٧ يناير ١٩٣٦م ص٤٤، إلى نهاية المقال الخامس العدد رقم (٤) من السنة الخامسة للمجلة بتاريخ ٢٥ محرم ١٣٥٥هـ الموافق ١٧ أبريل ١٩٣٦م ص٤٦.

واقتصرتُ على بيان ردِّ الأستاذ محيي الدين على السبب الأول من أسباب فرية الجمود؛ لما له من أهمية واضحة، حيث إنَّ معظم الهجمات على الإسلام والطعن في مبادئه إنما تكمن في رمي المسلمين بالتخلف والجمود وعدم التقدم؛ بسبب التمسك بأصول الإسلام.

وأغفلت الرد على باقي الأسباب؛ لاتصالها بمباحث علوم القرآن، وقد أقيمت عليها العديد من الأبحاث المتخصصة.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي في عرض فرية الجمود كما جاءت في المقالات، ثم المنهج التحليلي للوقوف على منهجية الرد عليها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع لم أقف على دراسة تناولت شخصية الأستاذ محيي الدين سعيد البغدادي، كما لم أجد دراسة تناوله الرد على فرية الجمود في الفكر الإسلامي، ومعظم الدراسات التي وقفت عليها تناولت دعوى الجمود في مجالات أخرى، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١ – إبطال دعوى جمود الفقه الإسلامي، للدكتور/ عبد المجيد محمد مطلوب، جامعة الكويت، مجلة الحقوق (مج٦ ع٢/ ١٩٨٢م)، وهذا البحث يتناول شقين، الشق الأول: دعوى جمود الفقه على وجه العموم دون التقيد بعصر معين، وأمّا الشق

الثاني: دعوى جمود الفقه الإسلامي في فترة من الزمن، تبدأ من نهاية القرن الرابع الهجري، وذلك بسبب ادعاء غلق باب الاجتهاد، ولم يتناول الباحث فرية جمود الفكر الإسلامي من أي ناحية.

٢ – مرونة الفقه الإسلامي وإبطال دعوى جموده، للدكتور/ زكي الدين شعبان، جامعة الكويت، مجلة الحقوق (مج٦ ع٢/ ١٩٨٢م)، ذكر الباحث فيه الكلام عن مصادر الفقه الإسلامي، وبين أن المراد بالفقه الأحكام الشرعية العملية التي استنبطها أو يستنبطها المجتهدون على اختلاف مذاهبهم، ومناهجهم من النصوص الواردة في الكتاب أو السنة، أو من المصادر الشرعية الأخرى كالقياس والمصلحة والعرف، ولم يتطرق الباحث إلى المسائل التي أبرزها الأستاذ محيي الدين سعيد البغدادي.

٣ – المنطلقات الفكرية والعقدية لدى الحداثيين للطعن في مصادر الدين، للباحث/ أنس سليمان المصري، دراسات علوم الشريعة والقانون (مج٤٢ ع١/ ٢٠١٥م)، يُعنى هذا البحث بدراسة الدوافع الفكرية والعقدية المؤثرة على الحداثيين عندما طعنوا في مصادر الإسلام، أخضعوها لعلوم الألسنيات، الأمر الذي يؤول إلى إلغاء مصادر الدين وإسقاط عصمتها، والتعامل معها من منطلق تجريبي، وهذا البحث يتفق مع بحثي من حيث أصل الفرية، ويختلف تمامًا من حيث العرض والمعالجة.

٤ – مجلة الإسلام وموقفها من قضايا الدعوة الإسلامية "دراسة تقويمية"، للباحث/ محسن حمدي محمد السايس، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بطنطا، الرقم العام (١٢٩٧) بتاريخ ٦–١١–٢٠١٧م، قسمها الباحث إلى خمسة فصول، تعرف من خلالها على مجلة الإسلام وموقفها من قضايا الدعوة الإسلامية، فيما يتعلق بموضوعات الدعوة وقضايا المجتمع، وأصناف المدعوين الذين تعاملتْ معهم، وإبراز أسباب النجاح، وأوجه الاستفادة منها في العصر الحاضر، ولم يتعرض الباحث إلى فرية الجمود.

صعوبات واجهت البحث:

من أهم الصعوبات التي واجهت البحثَ الحصولُ على أعداد مجلة الإسلام، وقد تواصلت مع كثير من المكتبات، ودور النشر، وبائعي الكتب القديمة، ومكتبة الإسكندرية، وقصدت دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، فوجدت ضالتي المنشودة في قاعة الدوريات والمجلات، والمجلة مسجلة تحت أرقام الاستدعاء (١٥٢٠-١٥٢١-٢٢٩٠) بدار الكتب والوثائق القومية.

تساؤلات البحث:

١ – ماذا تعرف عن مجلة الإسلام، والأستاذ محيي الدين البغدادي؟

٢ – ما ملابسات فرية جمود الفكر الإسلامي، وما المقصود منها، وما أسبابها؟

٣ – كيف رد الأستاذ محيي الدين البغدادي على فرية جمود الفكر الإسلامي؟ وما منهجه في الرد؟

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمةٍ، وتمهيدٍ، ومبحثين، وخاتمة.

أمَّا المقدمة فتشمل: أهمية البحث وأسباب اختياره، حدوده، والمنهج المتبع فيه، والدراسات السابقة، وصعوبات البحث، وتساؤلاته، وخطته.

وأما التمهيد ففيه الحديث عن:

أولًا: التعريف بمجلة الإسلام.

ثانيًا: التعريف بالأستاذ محيي الدين البغدادي.

وأما المبحث الأول فهو بعنوان: فرية جمود الفكر الإسلامي: ملابساتها، ومضمونها، وأبرز أسبابها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ملابسات فرية جمود الفكر الإسلامي، ومضمونها.

المطلب الثاني: أبرز أسباب فرية جمود الفكر الإسلامي.

وأما المبحث الثاني فهو بعنوان: رد الأستاذ محيي الدين البغدادي على فرية جمود الفكر الإسلامي، ومنهجه في الرد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رد الأستاذ محيي الدين البغدادي على فرية جمود الفكر الإسلامي.

المطلب الثاني: منهج الأستاذ محيي الدين البغدادي في رد فرية جمود الفكر الإسلامي.

وأما الخاتمة: فتضمنتْ أهمَّ النتائج التي توصلت إليها من خلال معايشة البحث، وكذا التوصيات.

هذا، وما كان من توفيقٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ أو تقصيرٍ فمن نفسي، والله ورسوله بريء منه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

التمهيد

أولًا: التعريف بمجلة الإسلام:

١- نشأتها وصاحبها:

مجلة الإسلام صحيفة إسلامية جامعة، نشأت كلسان حال الجمعيات الإسلامية، تنشر قرارات المؤتمر الإسلامي العام، تصدر كل أسبوع، كان قيمة العدد منها خمسة مليمات، ولها اشتراك سنوي داخل القطر المصري بقيمة أربعين قرشًا للجمهور، وثلاثين قرشًا للطلبة، وخارج القطر سبعين قرشًا للجمهور، وستين قرشًا للطلبة، قررتها وزارة المعارف-آنذاك-، ومجالس المديريات لجميع مدارسها بنين وبنات.

بدأ أول إصدار لها سنة ١٩٣١م الموافق ١٣٥٠هـ، وتوقفت عن الإصدار عام ١٩٩٢م، وصاحب هذه الجريدة وطابعها وناشرها ومُحرِّرهَا المسئول الأستاذ أمين عبد الرحمن.

٢- أبرز من كتبوا فيها:

كتب في مجلة الإسلام آنذاك أكابر العلماء، وأئمة الفكر في مصر والعالم الإسلامي، أمثال: الشيخ محمود شلتوت، والشيخ حسنين مخلوف، والشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ طنطاوي جوهري، والشيخ محمد بن صديق الغماري، والشيخ سيد حسن الشقرا، والشيخ عبد الفتاح خليفة، والشيخ علي محفوظ، والأستاذ أسعد لطفي، الأستاذ محمد أمين هلال، والأستاذ محيي الدين سعيد البغدادي- موضوع البحث- وغيرهم الكثير.

٣- دورها في نشر الثقافة الإسلامية:

عُنيت مجلة الإسلام بأغلب القضايا المطروحة في ذلك الوقت، سواء القضايا المتعلقة بالقرآن الكريم مثل ترجمته، أم ما يتعلق بأصول تلاوته وتفسيره، كذلك القضايا

المتعلقة بالسنة النبوية، أو ما يتعلق بقضايا الأسرة والمجتمع، من العبادات والمعاملات، والإجابة على أسئلة القراء، مما كان له أبلغ الأثر في نشر الثقافة الإسلامية.

٤ – صور توضيحة لشكل المجلة، ومقالات الأستاذ محي الدين البغدادي

غلاف العدد ٣٣ للسنة الثانية من المجلة الصادر يوم السبت ٢١ شعبان ١٣٥٢ه الموافق ٩ ديسمبر ١٩٣٣م.

غلاف العدد ١ للسنة الخامسة من المجلة الصادر يوم الجمعة ٤ من المحرم ١٣٥٥ه الموافق ٢٧ مارس ١٩٣٦م.

الصفحة الأولى من العدد ٤ للسنة الخامسة من المجلة الصادر يوم الجمعة ٢٥ من المحرم ١٣٥٥ه الموافق ١٧ أبريل ١٩٣٦م، وفيه آخر مقال حسب حدود البحث.

الصفحة الأولى من المقال الأول الذي قام عليه البحث في العدد ٤١ للسنة الرابعة من المجلة الصادر يوم الجمعة ٢٢ شوال ١٣٥٤ الموافق ١٧ يناير ١٩٣٦م

الصفحة الأولى من المقال الثاني الذي قام عليه البحث في العدد ٤٣ للسنة الرابعة من المجلة الصادر يوم الجمعة ٧ ذو القعدة ١٣٥٤ الموافق ٣١ يناير ١٩٣٦م ص٤٣.

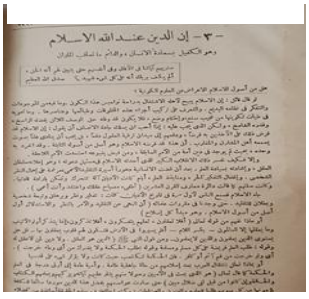

الصفحة الأولى من المقال الثاني الذي قام عليه البحث في العدد ن المجلة الصادر يوم الجمعة ٧ ذو القعدة ١٣٥٤ الموافق ٣١ يناير ١٩٣٦م ص٤٣.

ثانيًا: التعريف بالأستاذ محيي الدين سعيد البغدادي رحمه الله:

لقد ضنَّت المصادر بترجمة للأستاذ الأديب المحقق محيي الدين سعيد البغدادي رحمه الله، وبعد البحث والتقصي لم أجد عنه سوى ثلاثة أسطر كتبها عنه الأستاذ عمر رضا كحالة، حيث قال عنه: " كان حيًا ١٣١٤هـ=١٨٩٦م، فاضلٌ من أرباب التربية والتعليم، دَرَّسَ اللغة العربية في المدارس الأهلية، من آثاره: مسامرة الأقلام في محاورة مصر والشام"(١).

وبالرجوع إلى بعض كتابات الأستاذ المترجم له استطعت الوقوف على بعض النقاط المهمة في حياته، من ذلك:

قال رحمه الله في مقدمة كتاب «مسامرة الأقلام في محاورة مصر والشام»(٢):

"لما وفقني الله اللطيف بالقدوم إلى الأزهر الشريف، أقمت فيه أربع سنوات، أجني من علومه الثمرات، فبينما كنت ذات يوم من الأيام جالسًا مع جملة من الإخوان الكرام، وكان البعض مصريًا والآخر من الشام، إذ خطر ببالي الأوطان سيما الأحباب والخلان، فعملت هذه الأبيات تَشَوُّقًا لتلك الأوقات، جاء فيها:

البُعـــدُ والشَّـــوقُ أَضـــنَانِي وَأَرَّقَنـــي ... فَالنَّومُ واللُّـــبُّ مَســـلُوبٌ وَمَسْـــحُورُ

وَبَـــارِقٌ لَـــاحَ شَـــامِيًّا فَـــذَكَّرَنِي ... أَيَامَ أُنْـــسٍ لَهَـــا فِـــي الْقَلْـــبِ تَـــأْثِيرُ

---

(١) ينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (١٢/ ٢٠٧).

(٢) مسامرة الاقلام في محاورة مصر والشام، هي محاورة أدبية شعرية نثرية، كانت من أول ما أَلَّفَ الأديب الأستاذ الشيخ محي الدين سعيد البغدادي، وطُبعت بنفقته، جاء فيها:

يا ليلةَ أُنسٍ قد حَسُنَت .:. بكمال الصفو لمحبيها

بمحاورة باتت الأقلام .:. تســـامر طربًا فيهـــا

ينظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة (٢/ ٧٧٤) يوسف سركيس (المتوفى: ١٣٥١هـ)، الناشر: مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م.

جِسْمِي بِمِصْرَ نَحِيلٌ لَا حِرَاكَ بِهِ بَــاقٍ وَقَلْبِــي بِــأَرْضِ الشَّــامِ مَأْسُــورُ"[١]

وبذلك يتبين أنه رحمه الله من أهل الشام، جاء إلى مصر، وتعلم في الأزهر الشريف.

من مؤلفاته[٢]:

١ – هبة الرحمن في فضل القلب واللسان.

٢ – مرآة الخصال في وقائع الأحوال.

٣ – راوية تحسين الحال في تفضيل العلم على التجارة والمال.

٤ – ديوان العقد الثمين في شعر محيي الدين.

وما وقفت عليه بعد البحث والتدقيق؛ للتعرف على شخصيته، إنَّما جاء من استقراء مقالاته التي كتبها في مجلة الإسلام، فكان على النحو الآتي:

اتصل الأستاذ محيي الدين رحمه الله بتحرير المجلة في عامها الثاني، وكتب سلسلة مقالات عما بين المسيحية والإسلام، تحمل العناوين الآتية:

١ – (إنَّ الدين عند الله الإسلام، وهو الكفيل لسعادة بني الإنسان، والدائم ما تعاقب الملوان)، وهو موضوع هذا البحث.

٢ – (عظمة القرآن، ودحض حجج المنكرين).

٣ – (رأي وتعليل، ونقد وتحليل).

٤ – (كشف اللثام عمَّا في كتاب المسيحية في الإسلام)، وهو آخر سلسلة كتبها في مجلة الإسلام، وصعدت حلقاتها إلى مائة وثمانية عشر، وكان مزمعًا أن يواصل حلقاتها حتى تتم إلى مائة وعشرين ويطبعها، غير أن الموت فاجأه، فقد توفي رحمه الله مساء يوم الجمعة ٢٦ رجب ١٣٦٤هـ الموافق ٦ يوليو ١٩٤٥م.

---

(١) ينظر: مسامرة الاقلام في محاورة مصر والشام، لمحي الدين سعيد البغدادي، ص٢، المطبعة الخديوية وجريدة الكمال بالسكة الجديدة– مصر، ١٨٩٦م.

(٢) ينظر: مسامرة الاقلام في محاورة مصر والشام، لمحي الدين سعيد البغدادي، ص٣١.

وقد نعته مجلة الإسلام، فقالت: في ذمة الله محيي الدين سعيد البغدادي، يسوؤنا أن ننعي إلى قراء "الإسلام" كاتبًا من خيرة كتَّابها، ومحققًا دقيقًا جاهد وأبلى في سبيل دينها، وعالمًا نحريرًا له في خدمة الأدب جولات، وفي نصر دين الله آيات.

أجل: مات الأستاذ محيي الدين بعد حياة حافلة بالجهاد، ولم يمنعه عمله المعيشي من أن يساهم بقلمه في تبيان محاسن الحنيفية السمحة، وتزييف ما يقوله الشانئون عنها، وطالما سدد سهامه الصائبة في كبد أعداء الدين، فأبطل حجتهم، وزيف صنيعهم، وبقدر ما أضفى على الدين ثوبًا قشيبًا بيَّنَ محاسنه وجلَّى مكارمه، بقدر ما نزع عن سواه ما حاكه هؤلاء الأتباع الجامدون، فأراهم دينهم الذي وجدوا عليه آباءهم خلوًا من كل المحاسن، ودميمًا هزيلًا لا يقوى أمام نور البرهان، ولا يثبت له قدم في ميدان التبيان.

فأي خسارة أصابتنا من فقد هذا الرجل وأي معوض عنه في هذه الظروف التي يحتاج فيها الدين إلى أبنائه العاملين يدافعون عن بيضته، ويحمون حوزته[1].

رحم الله الأستاذ محيي الدين سعيد البغدادي، وأسكنه أعلى فراديس الجنان.

بعض الصور التي حصلت عليها من أعداد المجلة:

نشرت هذه الصورة في العدد الرابع من السنة الخامسة بتاريخ ٢٥ محرم ١٣٥٥ هـ الموافق ١٩٣٦/٤/١٧ م

نشرت هذه الصورة في العدد السادس من السنة الثامنة بتاريخ ١٠صفر ١٣٥٨ هـ الموافق ١٩٣٩/٣/٣١ م

١١٩ كشف اللثام عما فى كتاب المسيحية فى الاسلام

(بقية ردنا على الباب السادس)

كان المرحوم الأستاذ محيى الدين سعيد البغدادى ينوى أن يتم السلسلة التى بدأ فيها منذ ثلاث سنين وقد وصلت حلقاتها إلى الثامنة عشرة بعد المائة ، وقد ترك لنا عشر مقالات ربما كانت تتمتها لهذه الحلقات ، وننشر أحدها فى هذا العدد وبقيتها فى الأعداد القادمة مكررين الترحم عليه بقدر ما أسدى إلى الدين والحق من فضل وإخلاص .

نُشِرَت هذه الصورة في النعي الذي قدمته مجلة الاسلام بتاريخ ٢٦ رجب ١٣٦٤ هـ الموافق ١٩٤٥/٧/٦ م

(١) ينظر: مجلة الإسلام عدد (٣٠) السنة الرابعة بتاريخ ٤ شعبان ١٣٦٤ه الموافق ١٣ يوليو ١٩٤٥م ص١٥.

المبحث الأول

فرية جمود الفكر الإسلامي: ملابساتها ،ومضمونها ،وأبرز أسبابها.

المطلب الأول

ملابسات فرية جمود الفكر الإسلامي ،ومضمونها:

أولًا: ملابسات فرية جمود الفكر الإسلامي:

قبل الحديث عن مضمون فرية الجمود، كما وردت في المقالات لابد من بيان ملابساتها؛ حيث أشار الأستاذ محيي الدين سعيد البغدادي في ذيل مقالٍ له، إلى خطاب جاءه من أحد علماء المسيحية يعترض فيه على قوله: "الإسلام هو الدين الخالد الذي ستضمحل أمامه سائر الأديان".

وقد أورد هذا المعترض على سبيل الاستشهاد نبذة نقلها عن كتاب «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية»(١) للشيخ محمد عبده، بيَّن فيه المقابلة بين الدينين لمعرفة أيهما أوسع صدرًا، وأكثر تسامحًا لاتساع دائرة العلم والفلسفة، وتوجيه العقول إلى النظر في أسرار الكائنات؛ لترقية النفوس وتأهيلها إلى توفير أسباب سعادة النوع البشري

---

(١) كتب الإمام محمد عبده رحمه الله كتابةً جليلةً في العلم والمدنية بالنسبة إلى الديانتيين النصرانية والإسلامية، وردَّ على أحد كتَّاب المسيحيين قوله: "إنَّ المسيحية كانت أكثر تسامحًا مع العلم من الإسلام، وأنَّ الإسلام أكثر اضطهادًا للعلم والفلسفة من النصرانية"، وبيَّنَ في آخر ما كتبه حال المسلمين السوءى، وعدم موافقتها لما تقتضيه طبيعة دينهم، فبرأ الإسلام وسلفه من المَلَام؛ لكنه لم يبرئ المسلمين المتأخرين، بل دلهم على حقيقة دائهم، وهداهم إلى طريقة معالجته والخروج منه بإذن الله.
والكاتب المسيحي هو صاحب "مجلة الجامعة"، وقد تكلم في المقابلة بين الدينيين المسيحي والإسلامي بالنسبة إلى العلم والفلسفة في ترجمة ابن رشد، فساءت تلك الترجمة من قرأها من المسلمين لهذه المقابلة، وقد ردَّ الإمام محمد عبده رحمه الله على الجامعة الأمريكية بالقاهرة في كل ما أخطأت به من الكلام في فلسفة ابن رشد والمتكلمين، ومن المقابلة بين الديانتيين، ونشر ذلك في عدة مقالات في مجلة "المنار"، وقد استأذن الشيخ رشيد رضا الإمام محمد عبده في جمع تلك المقالات في كتاب مستقل ليعم نفعه فوافق، فكان كتاب «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية»، ينظر: مقدمة الكتاب بقلم الشيخ رشيد رضا صاحب المنار، ط: دار الحداثة الثالثة١٩٨٨م.

في هذه الحياة[١].

وهذا الذي ذكره الأستاذ محيي الدين يبين لنا أن الدعوة الإسلامية تتخذ طابع العالمية، أو بالأحرى تعلن إعلانًا صريحًا أنها جاءت للناس كافة، وقد تواترت نصوص القرآن الكريم بذلك منذ المرحلة المكية، فلم تكن عالميتها فكرة طرأت في مرحلة من مراحل نموها، بل كانت من صميم مبادئها منذ البدء، وهذا ما يجعل للدعوة الإسلامية طابعًا مميزًا عن غيرها من الدعوات، فلمَّا جاءت عالمية لم تكن هناك حاجة إلى كثرة المرسلين، ومن ثَم جاءت دعوة خاتمة لا تعقبها دعوة أخرى[٢].

أما النبذة من كلام الشيخ محمد عبده فمؤداها: إنَّ المسلمين في جمودهم ووقوفهم عند حدود ما ورثوه من العلم والعرفان عن مصنفات المجتهدين من سلفهم الصالح، دون أن يمدوا بنظرهم إلى معلومات جديدة، ومعارف حديثة مفيدة، فذلك هو السبب في التقهقر، والعامل القوي على الرسوب والتأخر[٣].

وقول الإمام محمد عبده هذا هو الواقع، ويقصد به انتقاد حالة المسلمين على اقتناعهم بما حصلوا عليه من كنوز مصنفات المتقدمين من علمائهم، وتقاعدهم عن العمل بأوامر دينهم الذي يحث أهله على التفكر في خلق السموات والأرض، واستقصاء ما فيهن من مكنون الآيات، ويهيب بهم إلى الاشتغال بكل ما من شأنه تحسين حالة الحياة[٤]، كقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص: ٧٧].

---

(١) ينظر: مجلة الإسلام عدد (٤١) السنة الرابعة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٥٤ الموافق ١٧ يناير ١٩٣٦م ص٤٤.

(٢) ينظر: كتاب أصول الدعوة، د/ فؤاد وهبة عبد الرحيم عزام، ط: دار جلال للطباعة بالزقازيق، الأولى ١٤٤٢ه، ص٦٣.

(٣) ينظر: (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) للشيخ محمد عبده ص١٢٨، بتصرف (مرجع سابق).

(٤) ينظر: مجلة الإسلام عدد (٤١) السنة الرابعة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٥٤ الموافق ١٧ يناير ١٩٣٦م ص٤٤.

هذا المناظر لا يستطيع أن يرى إسهامات المسلمين في العلوم الكونية، فقد كان الإسلام في حقيقة الأمر وراء كل إنجاز علمي حققه المسلمون في مختلف المجالات، فبدءاً من عام ١١٣٠م كان العلماء النصارى في أوربا يعملون جاهدين على ترجمة الكتب العربية في العلوم والفلسفة(١).

ثُمَّ يدعو هذا المناظر الأستاذ محيي الدين للتجرد، فيقول: "تعال نتجرد من التقليد ولا نتشبه بمن كانوا يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ودعنا نبحث عن الدين الحقيقي الذي ستضمحل أمامه سائر الأديان"(٢).

وهذه مغالطة في إيراد الآية فإنها نزلت في المقلدين المتبعين للباطل، والمعنى: "إنما سلك مشركو قومك منهاج من قبلهم من إخوانهم من أهل الشرك بالله في إجابتهم إياك بما أجابوك به، وردّهم ما ردّوا عليك من النصيحة، واحتجاجهم بما احتجوا به لُمقامهم على دينهم الباطل(٣).

ومع ذلك فالاستماع للطرف الآخر نوع من التواضع، وإعطاء الأهمية لكلام الآخرين يطرد العجب بالنفس، وأدعى إلى الإخلاص والتجرد(٤).

ثم يتعهد أنه سيقبل الحق أينما وُجِدَ، فيقول: "وعهدي لكم شرفًا وصدقًا والله شاهد على ما أقول إني لا أتأخر لحظة عن اعترافي لكم بالحق علنًا إذا ظهر الحق بجانبكم"(٥).

---

(١) ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د/ محمود حمدي زقزوق، ط: دار المنار، الثانية ١٤٠٩ه=١٩٨٩م، ص ٣٠.

(٢) ينظر: مجلة الإسلام عدد (٤١) السنة الرابعة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٥٤ الموافق ١٧ يناير ١٩٣٦م ص٤٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥٨٦)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى١٤٢٠هـ.

(٤) ضوابط العمل الدعوي في مجالات الموعظة، المجادلة، الحكم على الآخرين، د/ حسين مجد خطاب، ط: مكتبة الأزهر الحديثة، الثالثة ١٤٢٤ه= ٢٠٠٣م، ص٨٧.

(٥) ينظر: مجلة الإسلام عدد (٤١) السنة الرابعة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٥٤ الموافق ١٧ يناير ١٩٣٦م ص٤٤.

وقد أشار إلى أنَّه راسل أحد علماء المسلمين من قبل، ولم يفده جوابًا، فقال: "وينبغي لي أن أحيطكم علمًا بأنني تقدمت بتصريحي هذا لأحد علماء المسلمين، وأنا على قلة بضاعتي وضعف ماديّ في هذا الميدان لا يسعني غير انقيادي للدليل القاطع والبرهان الساطع، وكان قد دعاني هذا العالم إلى اعتناق الإسلام، فطلبت منه أن يتفضل بالدخول معي في بحثٍ كتابي على طريقة السؤال والجواب في كل نقط الخلاف بين المسيحية والإسلام، ووعدته بتحرير تعهدٍ على اعتناق الإسلام إذا قادنا البحث المنطقي إلى أنه أهدى من المسيحية وأقوم، ولكنه يا سيدي تنحى، وبلباقة وظرف تخلص، فما رأيكم إذا عرضت عليكم ذلك بما أن فضيلتكم أكثر غيرة للحق المنشود"[(١)].

وهذا يؤكد أهمية الرسالة المكتوبة، وأثرها في تبليغ الدعوة، فهي قريبة إلى نفس المرسَل إليه؛ لأنها حديثٌ خاصٌ به، يدعوه إلى أخذ كل كلمةٍ بجدٍ وعنايةٍ وتأملٍ، فالرسالة: فنٌ من فنون النثر القولية عرفها العرب منذ القدم، ولها خصائصها المميزة، التي تجعلها فنًا قائمًا بذاته[(٢)].

هذه كانت الملابسات التي وردت في المقالات حول فرية الجمود.

ثانيًا: مضمون فرية جمود الفكر الإسلامي:

فسَّر المناظر قول الإمام محمد عبده على غير وجهه، فالإمام رحمه الله ذكر أنَّ المسلمين في جمودهم ووقوفهم عند حدود ما ورثوه من العلم والعرفان عن مصنفات المجتهدين من سلفهم الصالح، دون أن يمدوا بنظرهم إلى معلومات جديدة، ومعارف حديثة مفيدة، فذلك هو السبب في التقهقر، والعامل القوي على الرسوب والتأخر[(٣)].

فادَّعى المناظر أنَّ الإمام يُقِرُّ بأنَّ الإسلام يحظر على أهله المُضي في سبيل الحضارة

(١) ينظر: مجلة الإسلام عدد (٤١) السنة الرابعة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٥٤ الموافق ١٧ يناير ١٩٣٦م ص٤٤.

(٢) ينظر: أساليب الدعوة ووسائلها، د/ آلاء كنكار (ص: ٢٧). رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

(٣) ينظر: مجلة الإسلام عدد (٤١) السنة الرابعة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٥٤ الموافق ١٧ يناير ١٩٣٦م ص٤٤.

الحقيقية، فلا يجدون أمامهم مجالًا لحرية الأفكار، وترقية المدارك في استكشاف غوامض المعارف، والإمام لم يقل هذا، وليس في كلامه ما يدل على ما ذكره المناظر من قريبٍ أو بعيد.

لقد بني هذا المناظر دعواه على نقد العقلية الأصولية، ووصفها بالجمود، أراد بذلك أن يخلص إلى هذه النتيجة، وهي: «حالة الرسوب التي عليها المسلمون اليوم ناجمة عن تمسكهم بقواعد دينهم؛ لأنه لا يُبيح لأهله النظر في شيء من العلوم زيادة عما لديهم من المصنفات القديمة، وأن هذه الحال منافية لقول الأستاذ محيي الدين البغدادي: "الإسلام هو الدين الخالد الذي ستضمحل أمامه سائر الأديان"[(١)]».

ثالثًا: تاريخ الفرية وتأصيلها من كتب المستشرقين والخصوم:

وهذه الفرية التي جاء بها هذا المناظر مَسبُوق بها، فقد سَبَقَهُ إليها بعض المستشرقين، منهم:

- المستشرق السويسري ماكس فان بريشم (ت: ١٩٢١م) في كتاب «تاريخ البشرية»، حيث فقال: "القرآن والسنة أكسبا الشريعة جمودًا، فوَسَمَ التشريع الإسلامي بالجمود، وعدم قابليته للتطور والتغيير"[(٢)].
- المستشرق المجري الهولندي اليهودي جولد تسيهر، قال: "إن الإسلام يكره التجديد، وكل بدعة في نظر الجماعة الإسلامية هي موضع للشك والشبهة، وظهورها مدعاة للأسى، إذ أنها تهدد وحدة الجماعة، وتؤدي إلى انهيار الشريعة"[(٣)].

ولا شك أن هذه الفكرة عن الإسلام مبنية على غلط شائع في مجال نقد الأفكار قصدًا أو جهلًا، وهي الخلط بين كمال المبادئ والنقص الحاصل في تطبيقها، وتحميل

(١) ينظر: مجلة الإسلام عدد (٤١) السنة الرابعة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٥٤ الموافق ١٧ يناير ١٩٣٦م ص٤٤.

(٢) ينظر: الإسلام والمستشرقون، د/ عبد الجليل عبده شلبي، ط: مطبوعات الشعب، ص ١٠٨.

(٣) المرجع السابق: ص٤٦.

الفكرة المساوئ التي يرتكبها من ينتسب إليها[١].

كلُّ هذه المحاولات إنما تمثل إرهاصات للفكر الحداثي، الذي يدعو إلى نقد التراث الإسلامي، فهل هناك فعلًا جمود في الموروث الثقافي الإسلامي؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل كانت مظاهر ذلك الجمود طارئة أم أصيلة؟ وهل تعد العقلية الأصولية الإسلامية جامدة ومتعسفة، ويجب تجاوزها؛ لأنها تحول بين المسلمين والتقدم الحضاري؟

هذا ما سيسفر عنه هذا البحث في المطالب القادمة.

(١) ينظر: مخاطر الإلحاد وسبل المواجهة، ص٧٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، إشراف وتقديم أ.د/ محمد مختار جمعة، ط: دار الجمهورية للطباعة، الأولى ٢٠١٩م.

المطلب الثاني

أبرز أسباب فرية جمود الفكر الإسلامي.

يجتهد المناظر في تقديم أسباب مبررة لفريته حول الفكر الإسلامي، ويُرجع جميعها إلى أصل الدين، ويحاول من طرف خفي ادعاء الحداثة والتقدم لدينه، في محاولة منه للربط بين التخلف الحضاري الذي ابتلي به المسلمون، والتمسك بأصول الدين.

يقول المناظر في خطابه المرسل إلى الأستاذ محيي الدين: "إنَّ ما ابتلي به المسلمون من جمود ليس علة من العلل الطارئة حتى يقال إنها سرت إليهم من جيرانهم –كما قرَّر الإمام الحكيم في كتابه «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية»– وإنَّما هو جمود متأصل منشؤه أسباب خمسة ترجع إلى أصول الدين، وأن هذه الأسباب ظاهرة يمكن استنتاجها بمجرد النظر إلى حالتهم المستقرين عليها منذ عدة قرون، وهي:

١ – تقييد عقولهم في الرجوع بكل طارئ أو حادث إلى الكتاب، فإذا لم يجدوه في الكتاب فعليهم بالسنة، وإلا فعليهم بالإجماع، وإلا فبالقياس، فهذا الاهتمام الذي استنفد عصارة عقول المسلمين في طول الشرح والتفسير سبب من أسباب الجمود، وهو من أصل الدين.

٢ – التقيد بحرف القرآن فانعدمت الروح.

٣ – غموض القرآن وإبهامه، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله بحجة البلاغة والإعجاز، ونحن في حاجة إلى الحقائق الواضحة في ثوب سهل بسيط كما في الإنجيل.

٤ – الحيرة بين الناسخ والمنسوخ.

٥ – عدم إمكان تعميم القرآن على لغات العالم ليكون كتاب رب العالمين إلى جميع العالمين"[(١)].

---

(١) مجلة الإسلام عدد (٤٣) السنة الرابعة بتاريخ ٧ ذو القعدة ١٣٥٤ الموافق ٣١ يناير ١٩٣٦م ص٤٣.

عقَّب الأستاذ محيي الدين على تلك الأسباب التي ذكرها مناظره بقوله: "هذا رأيه في المنشأ والأسباب- حاشا- بل هو رأي عموم المسيحيين عندما يصفون المسلمين بالجمود، فيعللونه بهذه الأسباب الخمسة، التي بسطها حضرة المناظر، وقال إنها ترتبط بأصول الدين، وقد أطلق لي حرية المدافعة بقوله: "ولك أن تدافع عنها بالدليل العقلي"، على أن الموقف الحالي في بحثنا لا يتطلب إنشاءَ خطٍ للدفاع؛ لأن الموضوع عبارة عن رأي من جنس الآراء المتبادرة المعروضة للبحث والنقد، وللعقول الصحيحة فيها نظر وتقدير، ووزن وتحليل، فما كان منها صائبًا استقر، أو ناقصًا عُولِجَ وهُذِّبَ، أو طائشًا خُولف وانعدم، ورأي مناظري في جعله الأسباب الخمسة مدعاة للجمود ليس سديدًا، فلا يقره عقل ولا يسلمه عارف بأصول الإسلام وفروعه، فمن واجبي رده بعد التدليل على مواطن فساده، لا مقتصرًا على الأدلة المعقولة كما أشار هو، بل وبالشواهد الثابتة المعروفة"[(١)].

يحاول المناظر استخدام منهج الإسقاط بما حدث في الغرب مع بداية عصر النهضة والتطور العلمي، والصراع العميق بين أصحاب المكتشفات العلمية ورجال الدين عندهم، مما دفع إلى اعتقاد أن الدين يقف عائقًا أمام التقدم العلمي، وهذا غير صحيح.

فالفكر الإسلامي فيه المعنى والقوة والجرأة والحصانة، وسبق أن قام أعداء الإسلام عبر التاريخ بالتزوير والتضليل، ولم يؤثر على الإسلام كدين، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

(١) مجلة الإسلام عدد (٤٣) السنة الرابعة بتاريخ ٧ ذو القعدة ١٣٥٤ الموافق ٣١ يناير ١٩٣٦م ص٤٣.

المبحث الثاني

ردُّ الأستاذ محيي الدين البغدادي على فرية جمود الفكر الإسلامي ،ومنهجُه في الرد

المطلب الأول

ردُّ الأستاذ محيي الدين البغدادي على فرية جمود الفكر الإسلامي

قبل تناول رد الأستاذ محيي الدين البغدادي على السبب الأول من الأسباب الخمسة التي أوردها مناظره، لابد من بيان أمرٍ مهم يتعلق بالرد، وهو: التمهيد للرد بإزالة الشبهات من ذهن المناظر، وهاك هو:

كتب المناظر للأستاذ محيي الدين يستشهد على صحة رأيه بحال المسلمين اليوم، يقول: "إذا كان الإسلام وعد أهله بسعادة الدارين كما تقولون، وها نحن نرى أن السعادة في الدنيا قد أفلتت من أيديهم، فكيف يمكننا أن نثق بتحقيقها في الدار الأخرى؟"(١)

فرد عليه الأستاذ محيي الدين بقوله: "هذه نظرية سرعان ما تخطر ببال الباحث الذي يكتفي بمعرفة النتائج دون الوقوف على أسبابها، فإننا نرى المريض إذا استعمل الدواء النافع بطريقة غير التي أشار بها الطبيب لا يحصل له الشفاء، ولكن هل يمكننا أن نحكم بأن ذلك الدواء لم يكن مفيدًا؟ كلا، فلو أن حضرته تمهل برهة متأملًا في سنن هذا الكون من جهة النظام الاجتماعي، فماذا يرى؟ يرى الأمم تعيش في ظل قوانينها آمنة مطمئنة، وأن لكل فردٍ أن يحيا في حدودها حرًا طليقًا في سلام وصفاء، ولكن إذا استهان بتلك الحدود فنقض إحدى موادها، أخذت يد العدالة بناصيته، وأنزلت به من العقاب ما هو أهله، حتى ساءت حاله وجاورت نفسه الهموم والكروب فعلى من يكون اللوم؟ أعلى القانون، أم على ذلك الذي تعدى حدوده؟ وهل من خلاف في قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت:

(١) مجلة الإسلام عدد (٤٩) السنة الرابعة بتاريخ ٢٦ ذو الحجة ١٣٥٤ه الموافق ٢٠مارس ١٩٣٦م ص٤٥

٤٦]، كلا وما يصدق على الفرد يصدق على المجموع، فكذلك الأمم ذات الشرائع السماوية لا يُتخذ من سوء أحوالها حجة على أصول دينها، بل بالعكس، أي أن الأمة التي تتهاون بأوامر ونواه قد شرعها الله لها على لسان رسله، لابد أن تتغير حالها ويسوء مآلها، وهذا داخل في حكم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٣][1].

حيث إنه بذلك يمهد للرد، ويُعِيدُ تَذكيرَ مناظره بما طرحه من سببٍ قبل الرد عليه، حتى يكون أبلغ في الاقناع، فيقول: "وإنما أردت أن أجعله شبه تمهيدٍ للرد على السبب الأول من الأسباب الخمسة التي أوردها سردًا، وهو استنكاره على المسلمين رجوعهم في كل حكم إلى الكتاب أو السنة أو القياس أو الاجماع، لَعَلِمَ أن دين الإسلام قائم على كتاب الله"[2].

الرد على فرية الجمود في الفكر الإسلامي:

في بداية الرد طرح الأستاذ محيي الدين سؤالًا، فقال: هل من أصول الإسلام الإعراضُ عن العلوم الكونية؟

ثمَّ أجاب عنه قائلًا: "لو قال قائل: إنَّ الإسلام يبيح لأهله الاشتغال بدراسة نواميس هذا الكون، وما فيه من الموجودات، والتفكر في نظامه البديع، والتعرف على تركيب أجزاء هذه المخلوقات وطبائعها وعناصرها، وما تحويه في طيات تكوينها من عجيب صنع، وإحكام وضع، فلا يكون قد وفاه حق الوصف اللائق بفضله الراسخ، وقدره الشامخ، ولكن الذي يجب عليه إذا أحب أن يسلك جادة الإنصاف أن يقول: إنَّ الإسلام قد فرض ذلك على الآخذين به فرضًا، ودفعهم إلى ميدان ترقية العقول دفعًا، بل

(١) مجلة الإسلام عدد (٤٩) السنة الرابعة بتاريخ ٢٦ ذو الحجة ١٣٥٤ه الموافق ٢٠مارس ١٩٣٦م ص٤٥

(٢) مجلة الإسلام عدد (٤٣) السنة الرابعة بتاريخ ٧ ذو القعدة ١٣٥٤ الموافق ٣١ يناير ١٩٣٦م ص٤٥.

يجب أن ينادي علنًا بصوتٍ يسمعه أهل المشارق والمغارب، إنَّ هذا قد فرضه الإسلام، وهو أصل من أصوله الثابتة، وقد انفرد به وحده، بحيث لم يُوجد في دين أمة من الأمم السابقة، ومن فيض ينبوعه استمدت الأمم اللاحقة[١].

فالأستاذ محيي الدين رحمه الله يرى أن الدين الإسلامي لم يدع أتباعه إلى التفكر، والعناية بالعلوم الكونية فحسب، وأن هذا أمر اختياري، بل يرى أنه فرض لازم، وحتم واجب على أتباع هذا الدين.

ورغم هذا لم يَسلَم ديننا من الافتراء، فاتُّهِمَ بنقيض ما يميزه، حيث يجعل الإسلام التفكيرَ فريضةً من فرائضه، وهو ما أفصح عنه العقَّاد في كتابه «التفكير فريضة إسلامية»، قائلًا: "وفريضةُ التفكير في القرآن تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها، فهو يخاطب العقل المدرك...، ولا يذكر العقل عرضًا مقتضبًا، بل يذكره مقصودًا مفصَّلًا على نحوٍ لا نظير له في كتاب من كتب الأديان"[٢].

ثم يستشهد الأستاذ محيي الدين محيي الدين على صحة كلامه بقوله: "جاء الإسلام فسمع الناس لأول مرة في تاريخ الأديان كلمات: تفكير، ونظر، وبرهان...، وإلَّا فماذا نفهم من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]"[٣].

فاحتجاجه بهذه الآيات التي جاءت جميعها بصيغة المضارع؛ ليدل على أنَّ التفكير،

---

(١) مجلة الإسلام عدد (٤٨) السنة الرابعة بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٣٥٤ الموافق ١٣ مارس ١٩٣٦م ص٣٢.

(٢) التفكير فريضة إسلامية، للعقاد، ص٥، ط: دار نهضة- مصر.

(٣) مجلة الإسلام عدد (٤٨) السنة الرابعة بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٣٥٤ الموافق ١٣ مارس ١٩٣٦م ص٣٢.

والتعقل، والتذكر، مطلوبٌ باستمرار.

والدعوة إلى التفكير منهجًا وتنميةً هي دعوة إلى القيام بواجب عظيم، يستلزم المسلم تجاه نفسه ومن حوله؛ لأنَّنا مطالبون بإعمال العقل في كل المجالات الإنسانية والعلمية، لذا جاء الأسلوب القرآني مقرونًا في بعض الأحيان بالتهديد والوعيد، بأسلوب الاستفهام الإنكاري، من مثل قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الروم: ٨][(١)].

فالباحث في الإعجاز القرآني عامة قد يجد أكثر من مائة مرجع على اختلاف أزمنة صدورها منذ القرن الثاني الهجري، وأكثر من هذا العدد ظهر حديثًا حتى الآن، وقد عدَّد الدارسون أكثر من سبعين نوعًا من أنواع الإعجاز، ومن أكثرها ظهورًا في الساحة الآن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

وكان من أعظم من كتبوا في إعجاز القرآن قديمًا أبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣ه)، ومن بعده الإمام الغزالي (ت: ٥٠٥) فقد تعرَّض للحديث عن العلوم في القرآن في كتبه المعروفة «إحياء علوم الدين»، و«جواهر القرآن»، و«الحكمة في مخلوقات الله»، فوصف القرآن بأنَّه البحر المحيط الذي يتشعب منه علم الأوَّلين والآخرين، ثم الإمام الرَّازي (ت: ٦٠٦ه)، كان في بعض حديثه إشارات إلى سنن الله الكونيَّة.

وإذا ما أردنا اختراق الزمان إلى أن نصل إلى الإمام السيوطي (ت: ٩١١ه)، فإنه من أعظم مَن تحدَّثوا عن إعجاز القرآن، ويؤثر عنه قوله عن القرآن إنه لا نهاية لوجوه إعجازه، وقد أفرد مؤلَّفًا قيِّمًا في هذا الصدد سمَّاه «معترك الأقران في إعجاز القرآن»، جمع فيه كل ما قيل حول الإعجاز القرآني[(٢)].

---

(١) ينظر: التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، ص١٥، رسالة ماجستير، إعداد/ عبد الوهاب محمود ابراهيم حنايشة، جامعة النجاح الوطنية- فلسطين، سنة٢٠٠٩م، ومن إشارات العلوم في القرآن الكريم ص١٥، تأليف: عبد العزيز سيد الأهل دار النهضة الحديثة- بيروت، الأولى ١٣٩٢ه=١٩٧٢م.

(٢) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مجال الآفاق، د/ محمد كرم الله حسن الظواهري، ط: دار الفؤاد، الأولى ١٤٤٢ه، ص٨٧، وما بعدها بتصرف.

ولا يزال عطاء المسلمين مستمرًا، ومن أشهر من تحدث الدكتور محمد راتب النابلسي، وذلك في موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: «آيات الله في الآفاق»، و«آيات الله في الإنسان»(١).

ولقد أكَّد الأستاذ محيي الدين البغدادي ردَّه بعدة مؤكدات، منها:

١- الاستدلال بالآيات القرآنية في مجالَي الْآفَاق والأنفس:

فقد صدَّر رحمه الله مقاله بقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]، ليؤكد على صدق ما ذهب إليه، وهو أن الأصول الإسلامية تدعو إلى تعلم العلوم الكونية، ومَا كان كذلك لا يمكن أن يكون جامدًا.

٢- إبرازه أن الإسلام يجمع بين العلوم الدينية والدنيوية:

حيث يقول: "الإسلام دين علم وحضارة ونهوض بالإنسانية إلى ما خلقت له من كمال روحي وجسمي؛ لأن الكمال الشخصي -كما قرر علماء الاجتماع- يتوقف على حسن تربية الشخص البدنية والنفسية، وهذه التربية المزدوجة موفورة في الإسلام، إذ هي أصل من أصوله الثابتة، لقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧]، ولذا كان المسلمون الأولون يندفعون وراء هذا الكمال اندفاعهم وراء الحياة، فكم أحيوا من العلوم دارسًا، وأوجدوا معدومًا، وذللوا مستعصيًا، حتى تركوا لمن بعدهم ثروة لا تبيد، وكان من تراثهم الخالد الذي يتردد ذكره في كل عهدٍ، وفي كل بقعة من بقاع الأرض، علوم الفلك، والهندسة، والحساب، وتقويم البلدان، والموسيقى، والطب والجراحة،

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" آيات الله في الآفاق" و" آيات الله في الإنسان" د/ محمد راتب النابلسي، ط: مؤسسة الفرسان- عمان، الأولى ١٤٣٥هـ.

والصيدلة، والكيمياء، والتاريخ، وغير ذلك مما لا يحصى عدًا، فضلًا عن فنون الصنائع التي بلغوا فيها حدًا بعيد المدى، فهل يُقال إنَّ اشتغال المسلمين بالعلوم الشرعية كان مانعًا لهم عن الخوض في عباب العلوم الكونية حتى آل الأمر إلى الجمود- كما يقول مناظري! - حقًا إنَّ هذا القول لمن أغرب ضروب المنطق؛ لأنه قد أطلق على غير ما وُضع له"[١].

فأشار رحمه الله إلى أنَّ المسلمين الأوائل لم يكن انشغالهم بالعلوم الشرعية عائقًا لهم عن تعلم العلوم الدنيوية.

فهذا الإمام الشافعي رحمه الله يقول: "لاَ أَعْلَمُ عِلْمًا بَعْدَ الحَلاَلِ وَالحَرَامِ، أَنْبَلَ مِنَ الطِّبِّ، إِلاَّ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ غَلَبُوْنَا عَلَيْهِ،... وكَانَ الشَّافِعِيُّ يَتَلَهَّفُ عَلَى مَا ضَيَّعَ المُسْلِمُوْنَ مِنَ الطِّبِّ، وَيَقُوْلُ: ضَيَّعُوا ثُلُثَ العِلْمِ، وَوَكَلُوهُ إِلَى اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَى"[٢].

ومن هنا برع في علوم الفلك والنجوم وفي علوم البحار علماء من العرب وضَعُوا أُسسًا لهذه العلوم، لا عن علم عندهم، إنما عن مشاهدة لظواهر الكون، وتوفيق وهداية من الله عَزَّ وَجَلَّ[٣].

فكان الكندي (ت: ٢٥٢ه) عالمًا موسوعيًا متفقهًا في علوم الدين، خاض في علوم الهندسة، والطبيعة، والفلك والكيمياء.

وكان القزويني (ت: ٦٨٢ه) فقيهًا ومفسرًا للقرآن والحديث، وجغرافيًا، وعالمًا طبيعًا[٤].

---

(١) مجلة الإسلام عدد (٤٨) السنة الرابعة بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٣٥٤ الموافق ١٣ مارس ١٩٣٦م ص٣٣.

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م، (١٠/ ٥٧).

(٣) تفسير الشعراوي، (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (١٠٨٢٥/١٧).

(٤) ينظر: القرآن وعلوم الأرض، للأستاذ/ محمد سميح عافية، ص١٤، ١٣، ط: الزهراء للإعلام العربي، الأولى ١٤١٤ه=١٩٩٤م.

٣ – الاستشهاد بشهادات الأساتذة المنصفين غير المتعصبين من علماء أوربا:

فقد أورد على سبيل المثال قول (سديو) أحد وزراء فرنسا السابقين، الذي يقول في كتابه «تاريخ العرب»: "لقد كان المسلمون متفردين بالعلوم في تلك القرون المظلمة، فنشروها حيث وطئت أقدامهم، وكانوا هم السبب في خروج أوربا من الظلمات إلى النور"(١).

ثم عقَّب الأستاذ محيي الدين فقال: "فماذا يعني هذا الفاضل –يعني سديو– بقوله: "متفردين بالعلوم" هل هي العلوم الدينية فقط كما يدعي بعض الخصوم؟ كلا؛ لأن المسلم لا يفهم من قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة النحل:٨]، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]، سوى أن الدين يحثه على تعلم كل ما لا يعلم، بل يدفعه قهرًا إلى هذا الميدان اللانهائي، ويهجم به على أطوار ترقيات عقلية لم تكن تدنو من خياله قبل الدخول فيها"(٢).

فالأستاذ محيي الدين يرد على مناظره بأنَّ المسلم لا يفهم من نحو قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[يونس: ١٠١] سوى أنَّ الدين يحثه على تعلم كل ما لا يعلم، وذلك بالإرشاد إلى النظر والاستدلال بما هو حول الإنسان من أحوال الموجودات وتصاريفها الدالة على الوحدانية، مثل أجرام الكواكب، وتقادير مسيرها، وأحوال النور والظلمة والرياح والسحاب والمطر، وكذلك البحار والجبال(٣).

وأورد أيضًا قول (درابر) المدرس بجامعة نيويورك في كتابه «المنازعة بين العلم

---

(١) مجلة الإسلام عدد (٤٨) السنة الرابعة بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٣٥٤ الموافق ١٣ مارس ١٩٣٦م ص٣٣.

(٢) مجلة الإسلام عدد (٤٨) السنة الرابعة بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٣٥٤ الموافق ١٣ مارس ١٩٣٦م ص٣٣.

(٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م، (١١/ ٢٩٥).

والدين» ما نصه: "لقد كان تفوق العرب في العلوم ناشئًا عن الأسلوب الذي توخوه في مباحثهم، فإنهم تحققوا أن الأسلوب العقلي وحده لا يؤدي إلى التقدم، وأنَّ الأمل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقودًا بمشاهد الحوادث ذاتها، ومن هنا كان شعارهم في أبحاثهم الأسلوب التجريبي والدستور العملي، وهو ما أوجب لهم هذا الترقي الباهر في الهندسة، وحساب المثلثات، وهو أيضًا الذي أداهم لاستكشاف علم الجبر، ودعاهم لاستعمال الأرقام الهندية... الخ"، إلى أن قال: كان الملك الإسلامي العربي يغص بالمدارس والمكتبات، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والأندلس حاصلة على عدد عديد منها، وكان في طرفٍ من أطراف هذه المملكة الواسعة التي فاقت المملكة الرومانية كثيرًا: مرصد في سمرقند لرصد الكواكب، وكان يقابله في الطرف الآخر مرصد جيراك في الأندلس، ولو أردنا أن نستقصي كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب، فإنهم قد رَقُّوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدًا، وأوجدوا علومًا جديدة لم تكن معروفة قبلهم"[(١)].

ليس هذا فحسب، بل قال (جوستاف لوبون) في كتابه «حضارة العرب»: "لو أنَّ العرب استولوا على فرنسا لصارت باريس مثل قرطبة في إسبانيا مركزًا للحضارة والعلم، حيث كان رجل الشارع فيها يكتب ويقرأ، في الوقت الذي كان فيه ملوك أوربا لا يعرفون كتابة أسمائهم، ويبصمون بأختامهم"[(٢)].

وقد عقَّب الأستاذ محيي الدين بقوله: "ونحن لا نكتفي بشهادة هذا العالم عما قرأناه من شهادات الكثيرين من علماء أوربا إذ هم يتحدثون عن اندفاع المسلمين الأولين وراء سائر العلوم مطلقين غير مقيدين، ولذا يقول الفيلسوف الاجتماعي (جوستاف لوبون) في تقريراته: "العرب أول من علّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع

---

(١) مجلة الإسلام عدد (٤٨) السنة الرابعة بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٣٥٤ الموافق ١٣ مارس ١٩٣٦م ص٣٤.

(٢) ينظر: شهادة عظماء الكتّاب الغربيين للإسلام، ص٦٦-٦٨، بحث في مجلة هدي الإسلام مجلد١ العدد١، وزارة الأوقاف وشئون المقدسات الإسلامية عام ١٩٥٦م.

استقامة الدين"، وقال أيضًا: "العرب مع ولعهم بالأبحاث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع، فقد أكسبت علومهم لصنائعهم جودة عظيمة جدًا، وإننا وإن كنا نجهل أكثر الطرق التي سلكوها لذلك، إلا أننا نعرف نتائجها وآثارها، فنعرف مثلًا أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت، والنحاس، والزئبق، والحديد، والذهب، وأنهم برعوا جدًا في الصناعة، ومهروا في صقل الفولاذ مهارة بعيدة المدى، وأنهم في كثير من فنون الصنائع قد ارتقوا ارتقاءً لم يلحق لهم شأو فيه إلى الآن"[(١)].

٤- المقارنة بين حال العرب قبل الإسلام وبعده:

يدلل الأستاذ محيي الدين رحمه الله على تطور المسلمين وعدم جمودهم كما ادعى مناظره بحال العرب قبل الإسلام وبعده، وهذا واضح جليٌّ؛ فدين العرب قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم كان أرذل الأديان، وأخلاقهم أرذل الأخلاق، فلما بعث الله سيدنا محمدًا نقلهم ببركة مقدمه من تلك الدرجة التي هي أخس الدرجات إلى أن صاروا أفضل الأمم في العلم والزهد والعبادة[(٢)].

فيقول: "بماذا نعلل انتقال العرب بعد إسلامهم من حالة جاهلية طامة، وأمية عامة إلى أرقى درجة في العلم والحكمة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢]، حتى صارت عواصمهم بفضل هذا الدين موردًا سائغًا للكافة يؤمونها من كل صوبٍ طلبًا للعلوم والفنون والصناعات"[(٣)].

ويقول أيضًا: "ألم يرَ قائله، أنَّ الإسلام نزل في قوم كانوا قبائل متفرقة الأهواء

(١) مجلة الإسلام عدد (٤٨) السنة الرابعة بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٣٥٤ الموافق ١٣ مارس ١٩٣٦م ص٣٤.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة١٤٢٠هـ، ـــ (٤١٩/٩).

(٣) مجلة الإسلام عدد (٤٨) السنة الرابعة بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٣٥٤ الموافق ١٣ مارس ١٩٣٦م ص٣٢.

متنافرة القلوب لا عهد لهم بنظام اجتماعي، ولا بعاطفة علمية، ولا باهتمام في شئون عمرانية؟ فما الذي جمعهم ووحد وجهتم، في أيسر مدة عارفين بجميع وسائل العمران، وجعل ممالكهم زاهية زاهرة بالحضارة والمدنِّية، كما اعترف الكثيرون من علماء الاجتماع الأوربيين؟"[١].

فتحولوا بفضل الإسلام من النقيض إلى نقيضه؛ لأن الإسلام يحث على التأمل والنظر الذي يخرج الإنسان من دائرة الحيوانية المتسلطة إلى الإنسانية الحانية، إلى المجال الرحب في عالم الفكر والعلم[٢].

٥- المقارنة بين الإسلام وغيره في قضية التعقل وسيادة العلم، وحرية الفكر:

يوضح الأستاذ محيي الدين الفارق العظيم بين الإسلام وغيره في التعرُّف على مَن وظَّف العقل وأعمله الإعمال الصحيح، وأعطاه قدره الذي وُهِبَ له في أصل الخلقة، فيقول: "كيف نفسر الانقلاب الكبير الذي أحدثه الإسلام في مستهل دعوته؟ وهو إعلان سلطان العقل، وإشادته بسيادة العلم، بعد أن قضت الإنسانية دهورًا أسيرة التقليد الأعمى، مرغمة على إهمال النظر الشخصي، وإغفال التفكير الحر، ومنابذة العلم، أيام كانت الأديان آلة تتحرك وتسكن بإرادة قادتها، وكانت سنتهم: "أطفئ مصباح عقلك واعتقد وأنت أعمى"، جاء الإسلام فسمع الناس لأول مرة في تاريخ الأديان كلمات: تفكير، ونظر، وبرهان، وتبعة شخصية، وبطلان للتقليد، حتى وجدنا في مقررات علمائه «أن النهي عن التقليد، والأمر بالنظر والاستدلال أول أصل من أصول الإسلام، وهو مبدأ كل إصلاح»"[٣].

بينما صدر عام ١٥٦٦م مرسوم مجحف من الكنيسة مَثَّل في كل فقرة من فقراته

---

(١) مجلة الإسلام عدد (٤٨) السنة الرابعة بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٣٥٤ الموافق ١٣ مارس ١٩٣٦م ص٣٣.

(٢) ينظر: أثر الإسلام في حياة العرب، د/ النبوي عبد الواحد شعلان، بحث في مجلة البنوك الإسلامية ع١٧ سنة، الناشر: الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ١٩٨١، ص٩٠، ٨٨.

(٣) مجلة الإسلام عدد (٤٨) السنة الرابعة بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٣٥٤ الموافق ١٣ مارس ١٩٣٦م ص٣٢.

مصادرة للعقل وتعطيلًا له عن مهنته، فمن فقراته: مصادرة الكتب وحرقها؛ وهذا سلب للعقل وإبداعه، ومنع الناس من التكلم بالعربية، وفي هذا مصادرة لإحدى وسائط المعرفة العقلية، فسلبت العقل قيمته في أهم ركائز الدين المسيحي بدعوى الأسرار الإلهية[١].

قال أحد علماء الأفرنج المؤرخين: "لا أدري كيف أعطانا الإسلام في مدة قرنين عددًا من الفلكيين يطول بنا سرد أفراده، وأن الكنيسة تسلطت على العالم المسيحي اثنى عشر قرنًا في أروبا ولم تمنحنا فلكيًا واحدًا"، وهذا الحق فإن السلطة الدينية في المسيحية كانت موصَّدة على العقول أبواب النظر في العلوم أزيد من اثنى عشر قرنًا، في حين كان المسلمون قد ملأوا بعلومهم وفنونهم وصنائعهم طباق الأرض"[٢].

٦- التأكيد على أنَّ الاجتهاد في إظهار الشريعة الإسلامية واجب على الحاصلين على مؤهلاته:

بين الأستاذ محيي الدين أن من فضائل الإسلام التي توجد في غيره، إجماع المسلمين على أنَّ الاجتهاد في إظهار الشريعة الإسلامية واجب على الحاصلين على مؤهلاته، وأن المسلمين لم يكن ليروعهم تعدد المذاهب، بل كلها محترمة عند كل مسلم، فلم يرمِ بعضهم بعضًا بسوء مثل ما حدث في النصرانية، حيث ينحصر النظر في أمور الدين في طائفة خاصة تضع لمتبعيها تقاليد لا يمكن تعديها بوجهٍ من الوجوه، حتى صار ذلك ذريعة للتباغض، وانفصال كل فرقة عن غيرها واستقلالها بما لديها، ورمي بعضها بعضًا بالزيغ والاعوجاج أو بالكفر[٣].

---

(١) ينظر: العقل بين الإسلام والكنيسة المتخيل والواقع، د/ لجين عبد الله محمود، بحث في مجلة (دراسات عربية وإسلامية) ع١٥ سنة ٢٠١٦م، جمعية الثقافة من أجل التنمية- مركز دراسات التراث وتحقيق المخطوطات، ص٣٣٥-٣٣٨-٣٤٢.

(٢) مجلة الإسلام عدد (٤٨) السنة الرابعة بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٣٥٤ الموافق ١٣ مارس ١٩٣٦م ص٣٤.

(٣) مجلة الإسلام عدد (٤٣) السنة الرابعة بتاريخ ٧ ذو القعدة ١٣٥٤ الموافق ٣١ يناير ١٩٣٦م ص٤٦.

وقد قال بعض المستشرقين: "إن الشرع الإسلامي محكوم عليه بالجمود؛ لكونه قد تم وضعه بالوحي في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم"(١).

فهذا الاجتهاد فريضة يقوم بها القادرون من العلماء نيابة عن الأمة من أجل استيعاب متغيرات العصر في حدود مقاصد الشريعة؛ لمواجهة الأحداث التي جدت في حياة الناس.

(١) ينظر: الاجتهاد ضرورة وعطاء، حسن مناع، مجلة الوعي الإسلامي- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ع ٢٩٤ سنة ١٩٨٩م.

المطلب الثاني

منهج الأستاذ محيي الدين البغدادي في رد دعوى الجمود

سلك الأستاذ محيي الدين رحمه الله في رده على فرية الجمود مسلك العالِـــم المستنير، المتحلي بأخلاق الإسلام، فتراه في حواره مع خصمه لم يجادله من أجل إسكاته وإفحامه فحسب، بل ليناظره، أو يناقشه، أو يباحثه من أجل الوصول إلى الحق[(١)].

فلم يكن هدفه الانتصار للنفس، أو العلو على الخصم، أو استعراض قوته؛ لذا اتسم رحمه الله بحسن استماعه لمناظره، وإعطائه الفرصة كاملةً للتعبير عن رأيه، وإخراج كل ما في جعبته، وهذا الخُلُق يساعد على إخماد ما لدى الخصم من شبهات، فإن المحاور الجادَّ هو الذي يصغي لمحاوره، ولا يكثر من مقاطعته، يبتغي بعمله وجه الله.

وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٤-٢٥]، فقوله: "وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ: أي: أنا وأنتم لسنا على أمرٍ واحدٍ، فيكون أحدنا على هدى والآخر في ضلال، فأضلهم بأحسن تعريض، كما يقول الصادق للكاذب إنَّ أحدنا لكاذب"[(٢)].

وإذا كانت المناظرة -في الإسلام- مجادلةً ومحاورةً تهدف إلى إظهار الحق، والاستدلال عليه، فإنَّ الداعية إلى الله في حاجة إلى هذا النوع من الجهاد بالكلمة

---

(١) فرق الشيخ أبو زهرة بين المناظرة، والجدل، والمكابرة، فقال: المناظرة: يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت فيه أنظار المتناقشين فيه، والجدل: يكون الغرض منه إلزام الخصم، والتغلب عليه في مقام الاستدلال، أما المكابرة: لا يكون الغرض منها إلزام الخصم، ولا الوصول للحق، بل اجتياز المجلس، والشهرة أو مطلق اللجاجة، أو غير ذلك من الأغراض التي لا تغني في الحق فتيلا. ينظر تاريخ الجدل، ص٥.

(٢) إيجاز البيان عن معاني القرآن، لأبي القاسم، نجم الدين النيسابوري (المتوفى: ٥٥٠هـــ)، (٦٨١/٢)، تحقيق: د/حنيف القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـــ.

واللسان، يؤيد به الحق الذي يؤمن به، ويبطل به الباطل الذي يقف في طريقه، وهذا وذاك من أهداف الدعاة إلى الله.

والقرآن الكريم عندما يذكر مناظرات الأنبياء فإنه يذكر أمورًا حدثت بالفعل ووقعت، ويسوقها للعبرة، وإعطاء المثلات، وبيان مكان الضالين، ومنزلة المهتدين، وعاقبة كل من الهداية والضلال، وبذلك يربط القرآن الكريم بين ماضي الإنسانية وحاضرها، ويُعيد ذكر مناظرات وقعت وأحداثٍ مَضت؛ ليجد الدعاة إلى الله فيه مادة نافعة، وفكرًا موجهًا، وأدلة إذا أحسنوا استعمالها وعرضها في مناسباتها ساعدتهم على الوصول إلى الهدف المنشود من الدعوة، والذي تنعقد عليه عزائم الدعاة إلى الله تعالى[١].

وأستطيع القول بأنَّ منهج الأستاذ محيي الدين قد اتَّسم بأمورٍ عدَّة، لعلَّ من أهمها:

أولًا: حسن التعامل مع المناظر، والتزامه بأدب الحوار:

لقد عَامَلَ الأستاذ محيي الدين رحمه الله مناظره بترحابٍ واحترامٍ شَدِيدَين، وقدرٍ كبيرٍ من التلطُّف، وهذا هو الواجب على كل مدافعٍ عن الحق، مما يدل على مدى التسامح الديني الموجود في مصر على مدار التاريخ، "وإذا جاز لنا أن نصدر حكمًا على هذا التاريخ في مجموعِه، فهو أنَّ مصر بلد له رسالة معينة في الوجود، تتلخص في كلمتين اثنتين: النور والسلام"[٢].

"فالتكامل والوحدة سمة من سمات الشخصية المصرية، ذلك التكامل الذي تفتقده الشخصية الأوربية"[٣]. حيث إن المناظرة تتم في جو من الود، وحرية الفكر وإبداء

(١) منهج الدعوة، د/ عبد المنعم صبحي أبو شعيشع، الناشر: مكتبة الأزهر الحديثة بطنطا، بدون.

(٢) مصر ورسالتها، د/ حسين مؤنس، ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة، مطبعة دار المعارف- القاهرة ٢٠٢١م، ص١٢٠.

(٣) شخصية مصر، د/ نعمات أحمد فؤاد، ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة، مطبعة دار المعارف- القاهرة ٢٠٢١م، ص٥٠.

الرأي، ويتضح ذلك في الآتي:

١- الترحيب بالمناظر:

تراه يقول لمناظره: " مرحبًا بك أيها الباحث النابغ الملتمس جادة الصواب المتعهد بالشرف والصدق إنك لا تتوانى لحظة عن الخضوع للحق، وإني أول من يرحب باقتراحك ويستقبل بحثك بصدر رحب، ويُعنى بإجابتك عن كل سؤال بما يرتاح إليه ضميرك حتى لا يبقى في نفسك شيء من الارتياب والتردد"[(١)].

وهذا الخلق العظيم إنما تعلمه من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يقول: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ النَّدَامَى»[(٢)]، واسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ وَأَكْثَرَتْ مِنْهُ تُرِيدُ بِهِ الْبِرَّ وَحُسْنَ اللِّقَاءِ، وَمَعْنَاهُ: صَادَفْت رَحْبًا وَسَعَةً[(٣)]، فينبغي على الداعية أن يلتزم هذا الخلق النبوي الكريم.

٢- الاحترام الشديد والتقدير للمناظر:

لقد التزم الأستاذ محيي الدين الرُّقيَّ في حواره؛ حيث يقول: "بكل احترامٍ أتقدم إلى حضرة مناظري الفاضل آملًا ألَّا يجد في نفسه مما تعرضت إليه ظنًّا بأني قصدت جرحًا أو تشنيعًا -حاشا-"[(٤)].

٣- التلطف مع المناظر:

المتأمل في كلام الأستاذ محيي الدين يجد أنه يتبع منهجية التلطف في التعامل مع مناظره؛ حيث ظهر ذلك جليًا في مجموعة من العبارات يستخدمها في طول مقالاته، فتراه

---

(١) مجلة الإسلام عدد (٤١) السنة الرابعة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٥٤ الموافق ١٧ يناير ١٩٣٦م ص٤٥.

(٢) صحيح البخاري (٥/ ١٦٨)

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت (١/ ١٨٧).

(٤) مجلة الإسلام عدد (٤٣) السنة الرابعة بتاريخ ٧ ذو القعدة ١٣٥٤ الموافق ٣١ يناير ١٩٣٦م، ص٤٥.

يقول مثلًا: "أدب المناظرة يقضي أحيانًا بالمجاملة والإغضاء"، ويقول: "فليسمح لي الآن"، ويقول: "وليسمح لي بعد أن ألفت نظره"، ونحو ذلك.

فهذا أَدَبٌ أدَّب به النبي صلى الله عليه وسلم العالمين على لسان أمِّنا عائشة رضى الله عنها: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ أَنْ نترل النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ"[(١)].

يقول الشيخ أبو زهرة عن مناظرات النبي صلى الله عليه وسلم لليهود: "ترى في هذه المناظرة كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم رفيقًا بهم، عطوفًا عليهم، يقسم عليهم بأحب أيامهم إليهم، ليستدنيهم إليه[(٢)] -أي: يقربهم منه صلى الله عليه وسلم-.

فيجب على الدعاة أن يكون لهم من التلطف وتحسين العبارة مع المدعوين ما يُبيِّن لهم أنَّ مكانتهم محفوظة، وأنَّ مترلتهم مرفوعة، فإنَّ ذلك أدعى لقبولهم الحق، واتِّباعهم الهدى.

ثانيًا: بيانه سبب الرجوع إلى الكتاب والسنة:

بين الأستاذ محيي الدين البغدادي لمناظره سبب رجوع المسلمين إلى الكتاب والسنة فقال: "ثم أزيد حضرته إيضاحًا لإبراز الحكمة في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ أي: إذا أَشْكَل عليكم أمرٌ من أمور الدنيا أو الآخرة فاستبينوا حِلّه من كتاب الله أو من حديث رسوله صلى الله عليه وسلم، ففيه دلالة على أن الكتاب والسنة فيهما الهداية التامة، والكفاية العامة لكل وسيلة من وسائل مصالح الدارين، وقد أراد الله أن يكون في القرآن أصول أولية إجمالية يصح أن تكون دستورًا للمشترعين، لا أن تكون تفصيلية إن انطبقت على الحوادث في عهد شذت عنها في عهد آخر، فمجيء الأصول في القرآن مجملة في مواطن كثيرة منه لا مفصلة كان

(١) مقدمة صحيح مسلم (٦/١).

(٢) ينظر: تاريخ الجدل، الإمام محمد أبو زهرة، ط: دار الفكر العربي- القاهرة، ١٤٣١ه، ص٤٤.

أقوى دافع لأهل العلم على الاجتهاد للوصول إلى رعاية مصالح المجتمع، ولذا كان الخلفاء الأولون إذا لم يجدوا ضالتهم في القرآن ووجدوها في السنة استأنسوا بما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم، وإن لم يجدوا ضالتهم من السنة عملوا بآرائهم مستنيرين بالعرف والأصول التشريعية التي جاءت مجملة في الكتاب والسنة"(١).

وهكذا يرى القارئ لكتاب الله سبحانه، وما فيه من أدلة أنه واضح للعامي يدرك منه ما يناسب خياله، ويسمو إليه إدراكه، وما يدركه منه صدق لا شبهة فيه، ويرى فيه العالم الباحث المحقق حقائق صادقة، ما وصل إليها البحث الحديث إلا بعد تجارب ومجهودات عقلية عنيفة؛ وكلما ازداد المتبصر في الآيات التي تتعلق بالكون في القرآن الكريم تأملًا، ازداد استبصارًا، ورأى علمًا أسمى مما يدركه الإنسان بتجاربه، وأعلى مما يهتدي إليه بعقله المجرد(٢).

ثالثًا: اتباع أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن:

فنراه يقول: "ونحن لا يسعنا الإغضاء عن أمثال هذه الزلات مهما كانت خفية، حتى لا نرمى بقصر الفهم، كما أننا في التصدي لردها ذيادًا عن الحق، لا نبيح للقلم أن ينتهج طريق الشدة أو العنف؛ لئلا نتهم بضعف الحجة أو الخروج عن قانون المناظرة، بل الواجب أن نتوخى الاعتدال في المناقشة، حتى نبلغ حد الاقناع، وأن ندفع بالتي هي أحسن كما أُمرنا بالكتاب الكريم، فلننظر إذن في هذه المسألة نظرة نقادة لنعطي كل جملة منها ما تستحق من جواب أو رد، مع بيان ما فيها من خطأ بحيث لا نحيد إن شاء الله نهج الحكمة والموعظة الحسنة"(٣).

---

(١) مجلة الإسلام عدد (٤٣) السنة الرابعة بتاريخ ٧ ذو القعدة ١٣٥٤ الموافق ٣١ يناير ١٩٣٦م ص٤٥.

(٢) تاريخ الجدل، للشيخ أبو زهرة، ص٥٢.

(٣) مجلة الإسلام عدد (١٤) السنة الخامسة بتاريخ ٧ ربيع الثاني ١٣٥٥ الموافق ٢٦ يونية ١٩٣٦م ص٣٩.

على الداعية ألا يجاري المدعو في الشغب إن شاغبه، ولا يرد عليه إن أربى في كلامه، بل يستعمل الهدوء والوقار، ويقصد من ذلك وضع الحجة في موضعها، فلعله إن لم يؤثر في هذا المدعو يؤثر في غيره، أو على الأقل يترك داخل هذا المدعو انطباعًا بالاستقامة وحسن خلق الدعاة إلى الله[١].

رابعًا: توحيد القواعد الجدلية بين المتناظرين:

من لوازم الإنصاف والعدل بين المتناظرين: توحيد القواعد الجدلية التي تحكم الفهم بينهم عند حدوث الاختلاف، بحيث تكون هي المرجع المحايد والموضوعي.

فلو أراد أحد المتناظرين الأخذ بظاهر النصوص فليسمح للخصم بذلك، وإذا أراد اللجوء للفهم المجازي للنصوص فللطرف الآخر الحق في ذلك.

فلمَّا طلب المناظر من الأستاذ محيي الدين الاحتكام إلى العقل، أجابه بقوله: "ورأي مناظري في جعله الأسباب الخمسة مدعاة للجمود ليس سديدًا، فلا يقره عقل، ولا يسلمه عارف بأصول الإسلام وفروعه، فمن واجبي رده بعد التدليل على مواطن فساده، لا مقتصرًا على الأدلة المعقولة كما أشار هو، بل وبالشواهد الثابتة المعروفة؛ لأنه بعد ما وافقني من قبل على تحكيم العقل في كل نقطة يقع فيها الخلاف، وأظهر لي الرضا بالدليل العقلي المقنع، إذ بي أقرأ في خطابه الأخير هذه الجملة الآتية: لا يصح أن أطمئن لأي رأيٍ وإن صدر من إمام الأئمة؛ لأنه بشر على كل حال، وغير موحى إليه بذلك التعليل، ولا نزل عليه هذا التأويل"[٢].

خامسًا: التزام الأمانة والدقة في النقل عن الخصم:

لعل من أهم سمات منهج الأستاذ محيي الدين الأمانة والدقة في نقل نصوص الخصم من غير تقوُّل عليه، أو نقل من مصادر ثانوية، حتى لا يدعي الخصم أن ما نقله غير دقيق.

---

(١) ضوابط العمل الدعوي، د/ حسين خطاب ص ٨٧.

(٢) مجلة الإسلام عدد (٤٣) السنة الرابعة بتاريخ ٧ ذو القعدة ١٣٥٤ الموافق ٣١ يناير ١٩٣٦م ص٤٣.

فاعتمد الأستاذ محيي الدين الإنجيل مصدرًا، فيما يأخذه، ومن ذلك قوله: "ورد في إنجيل متى (٢٤: ٦) في باب التعاليم المسيحية وأصولها التشريعية، ما نصه: "لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ؛ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ...الخ"[(١)].

سادسًا: تلخيص الفكرة وإعادة طرحها على المناظر:

كان الأستاذ محيي الدين يلخص الفكرة ويعيدها على مناظره؛ ليلزمه الحجة، فتراه يقول: "لما كان الحوار بيني وبين مناظري المسيحي دائرًا حول قولي: الإسلام هو الدين الخالد الذي ستضمحل أمامه سائر الأديان؛ لأنَّه كتب معترضًا على هذا القول، ثم تمَّت رغبته على أن نبحث معًا في أصول الدينين لنرى أيهما أحق للأخذ بيد الإنسانية وإرشادها إلى نوال السعادة في الدنيا والآخرة، كيما يتسنى لنا أن نحكم لأحدهما بأنه الجدير بالخلود"(٢).

ومن فوائد المناظرة أنها تهتم بالتعمق العلمي، والغوص في المسائل التخصصية، فهي وسيلة راقية للدعوة يمكن للدعاة بواسطتها معالجة كثير من الظراهر الاجتماعية برفقٍ ولينٍ[(٣)].

سابعًا: استخدامه كلام الخصم في الرد عليه:

والأخذ بموجب كلام الخصم واستنباط ما يريده، من طرق القرآن في استدلاله، ومن ذلك قوله تعالى في شأن المنافقين والرد عليهم: ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ

(١) مجلة الإسلام عدد (٤٩) السنة الرابعة بتاريخ ٢٦ ذو الحجة ١٣٥٤ الموافق ٢٠ مارس ١٩٣٦م ص٤٦.

(٢) مجلة الإسلام عدد (٤٩) السنة الرابعة بتاريخ ٢٦ ذو الحجة ١٣٥٤ الموافق ٢٠ مارس ١٩٣٦م ص٤٦.

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها، وسائلها، أساليبها في القرآن الكريم، للأستاذ الدكتور/ أحمد أحمد غلوش، (ص: ٥٠٧).

لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]، وقد سلك الأستاذ محيي الدين هذا المسلك، وهو يرد على مناظره، فيقول: "ولتسمح لي أوَّلًا أن أُلْفِت نظرك إلى مسألتين أوردتَّهما في حديثك لتقوِّي بهما عليَّ اعتراضك، فإذا هما مع الأسف قد أضعفاه، بل انقلب اعتراضك عليَّ إلى مناصرتي وتأييد رأيي

المسألة الأولى: استشهادك بقول الحكيم –يعني الشيخ محمد عبده– "إنَّ المسلمين جامدون على ما يدرسون في كتب فقهائهم، دون أن يشغلوا عقولهم في اكتشاف مكنون هذا الكون كما فعل الغربيون"، والمعنى فيه أنهم مقصرون من هذه الناحية، فإنَّ دين الإسلام يأمر بالتفكر في حقائق هذه المخلوقات، ويهيب بأهله إلى طلب الحكمة من سائر مواردها، ولو أنهم عملوا بأوامره هذه، وساروا على نهج أسلافهم لبلغوا شأوهم، بل لوصلوا إلى أكثر مما وصلوا إليه من الرقي في الحضارة حتى لا تطاولهم أمة على وجه الأرض، وتكون الخلاصة من قول الحكيم غير مساعدة لك على اعتراضك بل مؤيدة لقولي: "الإسلام هو الدين الخالد الذي ستضمحل أمامه سائر الأديان".

المسألة الثانية: قولك لي: تعال نتجرد من التقليد ولا نتشبه بمن كانوا يقولون: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] دون أن تلاحظ أنَّ الإسلام يمقت هذه الطبقة؛ أي: الذين يقلدون غيرهم دون تمييز، وإنَّ الله تعالى قد أنزل في حقهم آيات لتوبيخهم على جمودهم، ودعاهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الخروج من حالة التقليد المظلمة التي ورثوها عن سلفهم، إلى الاستنارة بنور العقل والتبصر فيما ينيلهم السعادتين: سعادة الدنيا في درس نواميس المخلوقات ومعرفة ما فيها من القوى الكامنة التي يمكن تسخيرها في تحسين حالة المعاش، وسعادة الآخرة في تأدية العبادات المفروضة التي تهذب النفس وتصقلها وتصفيها من نزعات الشيطان، وما ينجم عنها من الشرور، وتقربها من قدس الرحمن، وما ينالونه من ذلك القرب من الخير، فدين الإسلام لا يرضى لأهله أن يدينوا به تقليدًا لآبائهم، بل

يأمرهم أن يتعقلوه ويتصوَّروا محاسنه، ويُسرِحوا النظر في تعاليمه، حتى يتبين لهم أنه الحق من ربهم، فكيف ندبتني لأن أتجرَّد من التقليد وأنا منه برئ؟ بل والله لولا إقرارك بأنك كاره للتقليد، ومحب للبحث على ضوء العقل لما أقمت لسؤالك وزنًا ولا رددت عليك بكلمة"[(١)].

ثامنًا: استخدام المنهج المقارن:

لا تهدف مقارنة الأديان إلى حشو العقل بالكثير من المعلومات، بقدر ما تهدف إلى تحريره من التقليد بكل صوره، وإشعاره بالمسئولية تجاه الإقرار بالحق، والإلمام التام بمعنى كون القرآن الكريم مصدقًا لما أنزل من قبل ومهيمنًا عليه، فمن خلال البحث الجاد يهتدي كل مخلص إلى الحق الذي لا ريب فيه[(٢)].

ولقد اتبع الأستاذ محيي الدين المنهج المقارن بالنظر في ماهية الدين إجمالًا، ثم التأمل في أصول الدينين –الإسلام والمسيحية– وما يترتب عليها من نتائج، فنراه يقول لمناظره: "هلم الآن نبحث كما رغبت لنعلم أي الدينين أجدر بالخلود ولو تلاشت سائر الأديان، وليكن بحثنا دائرًا على النقطة الآتية؛ لأنها تقرب لنا البعيد وتوصلنا إلى المطلوب دون عناء، وهي: النظر في ماهية الدين إجمالًا، ثم التأمل في أصول مبادئه وفروعها وما يترتب على ذلك من النتائج، لنعلم أي الدينين أجدى لنظام المجتمع الإنساني، وأيهما أوسع صدرًا وأكثر احتمالًا وتسامحًا لاتساع دائرة العلوم وما يجتني من ثمراتها من فنون وصنائع واكتشافات واختراعات، وأيهما أكثر تساهلًا في حرية الأفكار وإطلاق العقول من أسرار الجهالة لتسير سيرًا مطردًا باحثة عن كل طريق يؤدي إلى تحسين مطالب العمران، وتوفير أسباب الحضارة والمدنية اللتين هما غاية الحياة، وهنا يلزمنا أن ننظر في كل أصلٍ من أصول أحد الدينين، وما نجم عنه من الإصلاح العام ثم تقابله بما يجانسه أو يغايره في

(١) مجلة الإسلام عدد (٤١) السنة الرابعة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٥٤ الموافق ١٧ يناير ١٩٣٦م ص٤٥.

(٢) ينظر: محاضرات في مقارنة الأديان للدكتور/ عبد الرحمن جيرة، ط: مطبعة الزهراء، الأولى ١٤٤٠ه، ص٦.

الدين الآخر، ونجعل العقل حكمًا بينهما"[١].

ويقول أيضًا: "إن هذا المنهج الإسلامي الذي سلكه سلفنا الصالح من الصدر الأول يؤدي حتمًا إلى ذلك المورد الأعظم (الكتاب)، وهو الذي حفظ أصول الدين راسخةً رسوخ الأطواد سليمةً مصانةً عن أقل تبديل، ولكي يرى الفارق بينه وبين المنهج الذي سار عليه رؤساء المسيحية من بعد رفع المسيح، وانقراض عصر تلاميذه إلى أواسط القرن السادس الميلادي، فتسبب منه تفرقة الأمة شيعًا لا تحصى قامت بينها منازعات وعداوات وسفك دماء حتى شكت من هولها الأرض والسماء، ولا تزال الكنائس متباغضة والعقائد متخالفة إلى اليوم وإلى قيام الساعة، وهذا ما نبَّه إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، حتى إذا سدَّد الله نظره في تصوير الجهود التي بذلها علماؤنا الأوائل، ثم قابلها بما صنع كبراء المسيحية في القرون الأولى، وما لكلا الفريقين من أثر في حياة الأمَّتَيْن، أمكنه أن يشهد بترجيح الأفضلية بين الفريقين، ونحن لا نكلفه بشيء سوى الإنصاف"[٢].

فالاجتهاد هو السبيل للوقوف في وجه الفساد الوافد من جبهات تكيد لأمة الإسلام، واستطاعت في فترة من الزمان أن تُبعد الاجتهاد، وتغلق بابه، لتبقى الشريعة في قوالب حجرية؛ وليظل المسلمون في جمود فكري، وشلل عقلي يحول بينهم وبين الاتصال بمصادر الإسلام، اتصال سلوك وتعامل وتطبيق.

وبذلك أكون قد أبرزت النقاط التي يتبين من خلالها منهج الأستاذ محيي الدين البغدادي في رده على فرية جمود الفكر الإسلامي.

---

(١) مجلة الإسلام عدد (٤١) السنة الرابعة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٥٤ الموافق ١٧ يناير ١٩٣٦م ص٤٦.

(٢) مجلة الإسلام عدد (٤٣) السنة الرابعة بتاريخ ٧ ذو القعدة ١٣٥٤ الموافق ٣١ يناير ١٩٣٦م ص٤٥

الخاتمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وبعد:

فهذه رحلة مباركة عشتُ فيها مع مقالات الأستاذ محيي الدين البغدادي، وقد أذن الله تعالى بانتهائها، وهذه بعض النتائج والتوصيات التي توصلت إليها خلال البحث:

أولا: النتائج:

١ – إنَّ نهضةَ المسلمين منذ فجر الإسلام وتقدُّمَهم في الحضارة والعمران والمدنية، وتوسُّعَهم في الملك، وترقيهم إلى أسمى مكانة من السعادة، وسبقهم الأمة المسيحية إلى ذلك بعشرة قرون يثبت لنا أن السبب في ذلك كله راجع إلى أصل الدين؛ لأنه لم يحرم على متبعيه الاهتمام بشؤون الدنيا بل فرضه عليهم فرضًا.

٢ – إنَّ ترك العناية بمطالب الحياة الدنيا والانقطاع للعبادة، وطلب الملكوت، ينبغي بحق أن يسمى جمودًا، وهو الداء الذي كان متأصلًا في المسيحية قديمًا، ثم انتقل إلى المسلمين وفشا فيهم ممن دخل في دينهم من النصارى الأولين، حتى نشأت وتكونت في المسلمين طبقة جاهلة بنفسها، وبربها ترى أنَّ التقوى عبارة عن ترك الدنيا، والاقتصار على التعبد مع الرضا بالفقر والجهل، فتحقق من هذا قول الإمام الحكيم: إنَّ جمود المسلمين علة من العلل الطارئة وفدت عليهم من جيرانهم، كما تحقق أن المدنية الأوربية ليست مسيحية، وإنما مصدرها أصل من أصول الإسلام الذي أهمله أهله فجمدوا، وعمل به الأجانب فرتقوا.

٣ – فرية جمود الفكر الإسلامي صَدَّقها وانخدع بها بعض المنتسبين للإسلام بسبب ما تعاني منه بلاد المسلمين من تخلف، وعدم القدرة على ملاحقة التقدم العلمي الغربي، فانبهروا بثقافة غير المسلمين وأفكارهم، مما يستدعي دحض هذه الفرية في كل وقت.

٤ – وسائل الإعلان الآن تتزاحم على استقطاب الجمهور بالعناوين المميزة، فلو لم يكن عنوان مقالات الباحث مميزًا ومثيرًا فإن مقاله سَيُتَجاهل ويتلاشى جهده في طرفة عين؛ لذا كان من الضروري اختيار عنوان الأبحاث والمقالات بعناية فائقة؛ لئلا يبحث القراء عن محتوى آخر يثير اهتمامهم، وهو ما فعله الأستاذ محيي الدين، فإن عنوان مقالاته اضطر مناظره للوقوف مرغمًا ليرى ماذا كتب تحت هذا العنوان: «إنَّ الدين عند الله الإسلام، وهو الكفيل لسعادة بني الإنسان، والدائم ما تعاقب الملوان»، فاعترض قائلًا: دعنا نبحث عن الدين الحقيقي الذي ستضمحل أمامه سائر الأديان.

٥ – الاكتفاءُ بمعرفة النتائج «تأخر المسلمين» دون الوقوف على أسبابها عواقبه وخيمة، وهو ما أكده الأستاذ محيي الدين بقوله: المريض إذا استعمل الدواء النافع بطريقة غير التي أشار بها الطبيب لا يحصل له الشفاء.

٦ – استطاع الأستاذ محيي الدين رحمه الله بيان عظمة الإسلام باستخدام المقارنة بين الدينين، حين قال لمناظره: هلم الآن نبحث كما رغبت لنعلم أي الدينين أجدر بالخلود، وذلك بالنظر في ماهية الدين إجمالًا، ثم التأمل في أصول مبادئه وفروعها وما يترتب على ذلك من النتائج، لنعلم أي الدينين أجدى لنظام المجتمع الإنساني، وأيهما أوسع صدرًا وأكثر احتمالًا وتسامحًا لاتساع دائرة العلوم.

٧ – من أقوى الحجج في رد الأستاذ محيي الدين رحمه الله على فرية جمود الفكر الإسلامي، أنَّ من أصول الإسلام الثابتة أنه فرض على أهله فرضًا الاشتغال بدراسة نواميس هذا الكون، ودفعهم إلى ميدان ترقية العقول دفعًا، وهو ما انفرد به الإسلام عن غيره من الشرائع الأخرى.

٨ – «وشهد شاهد من أهلها»: اعترافات الغربيين بتفوق المسلمين الأوائل وتفردهم من أقوى الأدلة على دحض فرية جمود الفكر الإسلامي.

ثانيًا: التوصيات:

١ – في مواجهة مثل هذه الفرى ينبغي الحضور الفعَّال في الغرب بإرسال المُتَخَصِّصِين من الدعاة إلى الندوات والمؤتمرات التي تعقد عن الإسلام.

٢ – نشر الكتب الإسلامية النافعة والصحف والمجلات الهادفة في الخارج.

٣ – استخدام كافة أنواع الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة؛ لنشر الصورة الصحيحة للإسلام.

أهم المصادر والمراجع

١ – أثر الإسلام في حياة العرب، د/ النبوي عبد الواحد شعلان، بحث في مجلة البنوك الإسلامية ع١٧ سنة، ط: الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ١٩٨١م.

٢ – الاجتهاد ضرورة وعطاء، حسن مناع، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، العدد ٢٩٤، سنة ١٩٨٩م.

٣ – أساليب الدعوة ووسائلها، د/ آلاء كنكار، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

٤ – الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د/ محمود حمدي زقزوق، ط: دار المنار، الثانية ١٤٠٩ه، ١٩٨٩م.

٥ – الإسلام والمستشرقون، د/ عبد الجليل عبده شلبي، ط: مطبوعات الشعب.

٦ – الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، للشيخ محمد عبده، ط: دار الحداثة الثالثة، ١٩٨٨م.

٧ – الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مجال الآفاق، د/ محمد كرم الله حسن الظواهري، ط: دار الفؤاد، الأولى ١٤٤٢ه.

٨ – إيجاز البيان عن معاني القرآن، لأبي القاسم، نجم الدين النيسابوري (المتوفى: ٥٥٠هـ)، تحقيق: د/حنيف القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٩ – تاريخ الجدل، الإمام محمد أبو زهرة، ط: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٣١ه.

١٠ – التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ط: الدار التونسية للنشر، تونس.

١١ – تفسير الشعراوي، (ت: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

١٢ – تفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٣ – التفكير فريضة إسلامية، الأستاذ عباس محمود العقاد، ط: دار نهضة مصر.

١٤ – التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إعداد/ عبد الوهاب محمود ابراهيم حنايشة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٩م.

١٥ – سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م.

١٦ – شخصية مصر، د/ نعمات أحمد فؤاد، ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة، مطبعة دار المعارف، القاهرة ٢٠٢١م.

١٧ – شهادة عظماء الكتَّاب الغربيين للإسلام، بحث في مجلة هدي الإسلام مجلد١ العدد١، وزارة الأوقاف وشئون المقدسات الإسلامية عام ١٩٥٦م.

١٨ – ضوابط العمل الدعوي في مجالات الموعظة، المجادلة، الحكم على الآخرين، د/ حسين مجد خطاب، ط: مكتبة الأزهر الحديثة، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ه، ٢٠٠٣م.

١٩ – العقل بين الإسلام والكنيسة المتخيل والواقع، د/ لجين عبد الله محمود، بحث في مجلة (دراسات عربية وإسلامية) عدد ١٥، سنة ٢٠١٦م، جمعية الثقافة من أجل التنمية، مركز دراسات التراث وتحقيق المخطوطات.

٢٠ – القرآن وعلوم الأرض، للأستاذ/ محمد سميح عافية، ط: الزهراء للإعلام العربي، الأولى ١٤١٤ه، ١٩٩٤م.

٢١ – كتاب أصول الدعوة، د/ فؤاد وهبة عبد الرحيم عزام، ط: دار جلال للطباعة بالزقازيق، الأولى ١٤٤٢ه.

٢٢ – محاضرات في مقارنة الأديان، للدكتور/ عبد الرحمن جيرة، ط: مطبعة الزهراء، الأولى١٤٤٠ه.

٢٣ – مخاطر الإلحاد وسبل المواجهة، إعداد: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، إشراف وتقديم أ.د/ محمد مختار جمعة، ط: دار الجمهورية للطباعة، الأولى ٢٠١٩م

٢٤ – مسامرة الأقلام في محاورة مصر والشام، لمحيي الدين سعيد البغدادي، المطبعة

الخديوية وجريدة الكمال بالسكة الجديدة، مصر، ١٨٩٦م.

٢٥ – مصر ورسالتها، د/ حسين مؤنس، ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة، مطبعة دار المعارف– القاهرة ٢٠٢١م.

٢٦ – معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (ت: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى، بيروت.

٢٧ – معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف سركيس (ت: ١٣٥١هـ)، ط: مطبعة سركيس بمصر، ١٣٤٦ هـ، ١٩٢٨م.

٢٨ – مفاتيح الغيب للرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة٠١٤٢٠ه.

٢٩ – من إشارات العلوم في القرآن الكريم، تأليف: عبد العزيز سيد الأهل دار النهضة الحديثة– بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٢ه،١٩٧٢م.

٣٠ – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣١ – منهج الدعوة، د/ عبد المنعم صبحي أبو شعيشع، ط: مكتبة الأزهر الحديثة طنطا.

٣٢ – موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" آيات الله في الآفاق" و" آيات الله في الإنسان" د/ محمد راتب النابلسي، ط: مؤسسة الفرسان، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ه.

فهرس الموضوعات

مقدمة..... ٨٩٤
أهمية البحثِ، وأسبابُ اختياره: ٨٩٥
حدود البحث: ٨٩٥
منهج البحث: ٨٩٦
الدراسات السابقة: ٨٩٦
صعوبات واجهت البحث: ٨٩٨
تساؤلات البحث: ٨٩٨
خطة البحث:..... ٨٩٨
التمهيد ٩٠٠
أولًا: التعريف بمجلة الإسلام:..... ٩٠٠
ثانيًا: التعريف بالأستاذ محيي الدين سعيد البغدادي رحمه الله: ٩٠٢
المبحث الأول: فرية جمود الفكر الإسلامي: ملابساتها، ومضمونها، وأبرز أسبابها. . ٩٠٥
المطلب الأول: ملابسات فرية جمود الفكر الإسلامي، ومضمونها:..... ٩٠٥
المطلب الثاني: أبرز أسباب فرية جمود الفكر الإسلامي..... ٩١١
المبحث الثاني: ردُّ الأستاذ محيي الدين البغدادي على فرية جمود الفكر الإسلامي، ومنهجُه في الرد..... ٩١٣
المطلب الأول: ردُّ الأستاذ محيي الدين البغدادي على فرية جمود الفكر الإسلامي . ٩١٣
المطلب الثاني: منهج الأستاذ محيي الدين البغدادي في رد دعوى الجمود ٩٢٥
الخاتمة..... ٩٣٥
أهم المصادر والمراجع ٩٣٨
فهرس الموضوعات..... ٩٤١